

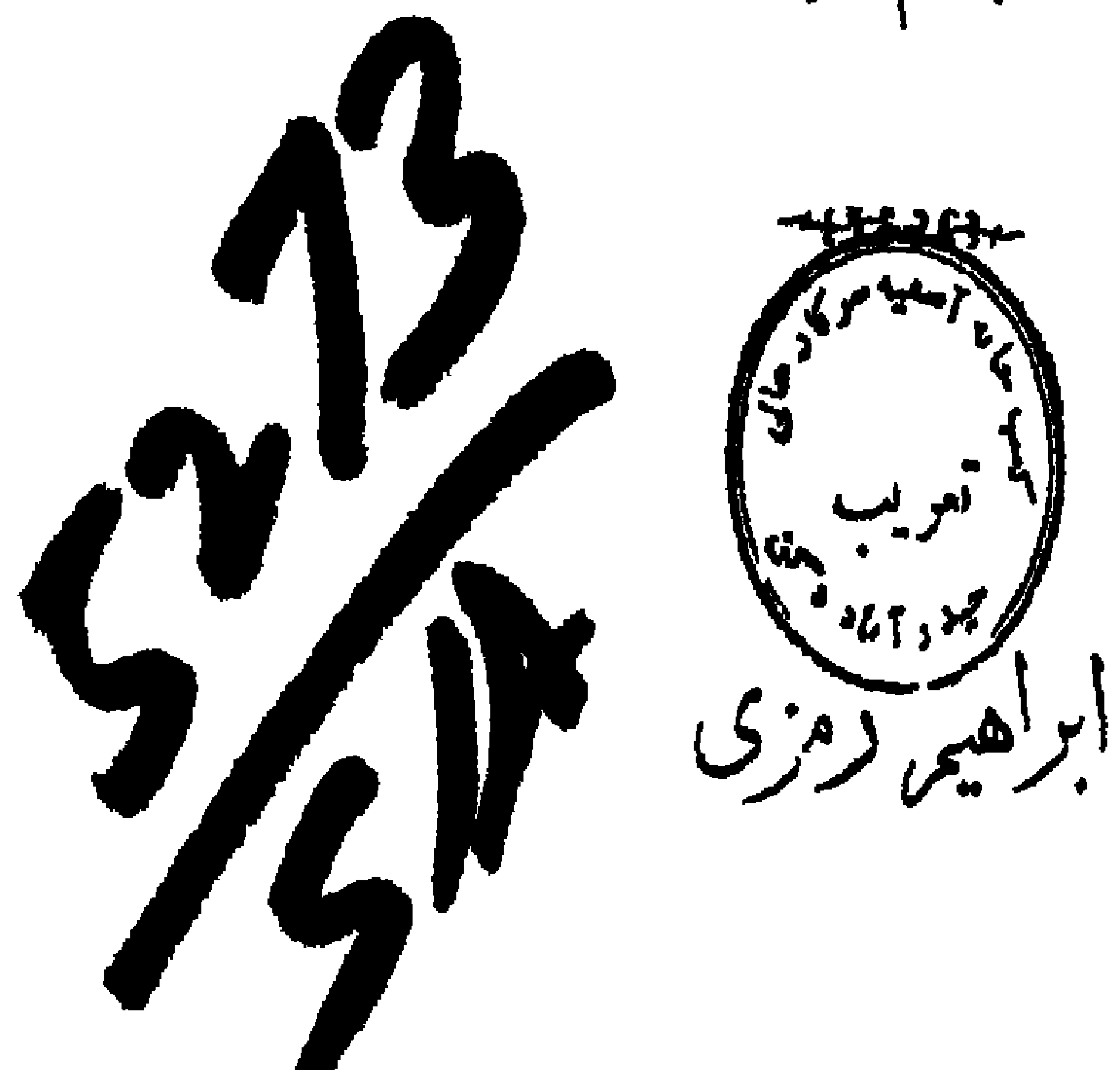
تعريب

ابراهيم رمزي



وتاريخه

وفيه أهم صوره



ابراهيم رمزي

(طبع بمطبعة الهداية باول شارع درب الحمامين بمصر)

مقدمة المؤلف

قدر أحد ثقات المؤلفين عدد الكتب التي لا بد منها لامكان معرفة سيرة نابليون وأخلاقه وطباعه معرفة وسطى بمائة كتاب وليس يخفى أنه لا يستطيع قراءة هذه الكتب كلها الا الأقلون منا لذلك كانت الحاجة ماسة الى مثل هذا الكتاب الصغير الذي يمثل لك الامبراطور مفصحاً عن نفسه

لقد بدا لى أثناء مطالعتي ما ألف عن عهد نابليون أن أكثر الكتاب أحد رجلين رجل يحكم لنابليون وآخر عليه فهم لا يجلسون مجلس القضاء يجمعون ما تصل اليه أيديهم من غير تحامل ولا هم يسيرون فى الامر وسطا. ترى الدكتور « هولندروز » الذي نال كتابه ما نال من الشهرة العظيمة لم يأت ببرهان واحد على رأيه فى نابليون وقدحه فيه وترى كتاب المستر « لامفرى » على بهجته مكتوباً بقلم كأنه غمس فى حبر من نار حتى لا أظن انه قد وضع كتاب فى هجو نابليون أشنع من هذا الكتاب. ثم اذا اطلعت على مؤلف « أبوت »

المشهور وجدت خلاف ذلك على خط مستقيم فهو انما يريدنا على ان نعتقد أن بطل كتابه انما كان قديسا ولكنه الرجل الذي أساء الناس فهمهم فيه مع انه أعظم الناس طرا هنالك يجعل الكاتب مكان الوقف من الجملة قوله (ليحي الامبراطور) وينقط كل حرف منقوط بدمعة من عينيه

انما ذكرت كتاب «أبوت» في هذا المقام لانه معروف على جانبي المحيط الاطلسي ومن الناس من يراه أول ما يجب ان يقرأ من الكتب اذا أريد درس حياة ذلك الكورسيكي العظيم

كان نابليون يقول شيئاً ويفعل شيئاً آخر لانه كان يرى السياسة في تلك الخطة . وعنده ان الثبات انما هو من خصائص أهل الوسط . وكان في الحرب يرى الرجال حوله يسقطون على الارض فلا تبدو على شفتيه هزه ولكن اذا انجلت الموقعة كان الجرحى اول من يعنيه أمره ولا شك أن رجلا كهذا انما يجمع بين الوحش والانسان في أديم واحد قال « جور جود » لم يكن النصر ينسيه أولئك الجرحى

داس حصان جريحاً لا تزال فيه آثار الحياة فاعتذر صاحبه بقوله أن الجريح كان من جيش العدو الروسي فقال نابليون ليس بعد النصر أعداء بل رجال

هذه صورة نابليون فى دخيلة نفسه مكشوفة للناس وهو غرض هذا الكتاب فموضوعه اذاً الابانة عن هذه الشخصية المركبة

كان نابليون لا يهتم بعشرة النساء ولا مجالستهن الا قليلا على ان ميله وحبه العظيم لأفراد أهل بيته منهن يدلان على انه لم يكن مجردا من عاطفة الحب الانسانى فانه كان يحترم مدام « مير » و « جوزفين » عظيم الاحترام على انه لم يكن لهما شأن فى السياسة كما انهما كانتا على طبائع مختلفة اختلافا كبيراً

كانت « ليتيتيا بونابارت » امرأة عملية تعد اكثر اهل جنسها اقتصاداً وكان نابليون يشكو من حطة ما فى ردهتها من الاثاث اما « جوزفين » فكانت مسرفة كثيرة الدين وما كان يحلو لها وقت من الاوقات الا ليلة تشرق بجمالها

في عرصات القصر الامبراطوري

و«ماري لويز» انالته بغية قلبه وهو الولد الذي رزق به منها

سألته مدام «دوستيل» يوما أي النساء أعظم قال

تلك التي ولدت اكثر عدد من الاطفال . وفي ذلك دليل على

على انه كان يرى المرأة نافعة على العموم لان الاولاد عنده

انما هم في الحقيقة جنود معدودون

ذلك شأن من عاشرته من أهل بيته وكان غيرهن من

النساء ألعوبة له في بعض ساعات الفراغ على انه لم يكن يهتم

بامرهن الا قليلا ولا يذكر فيهن الا نادراً ما عدا الكونتس

«والوسكا» البولاندية الحسناء فانها نالت حظوة لديه لم تنلها

سواها . من ذلك نستدل على ان نابليون لم يكن يجفو النساء

او يزدري بهن بل كان له على العموم عناية بهن

كان نابليون أسيراً في سنت هيلانه وكان لديه من

الوقت متسع عظيم للتفكير يشهد بذلك ما أبرزه «لاكاس»

و«منتولون» و«جورجورد» وغيرهم . كان ينسى السياسة

وذكرى الحروب ويكشف عن سريرته فى أقواله وأحاديثه فيلقى على من كانوا حوله من رفقته المخلصين آراءه فى الدين والسياسة وما كان يتوقعه فى مستقبل حكمه لو دام . قال أحد الكتاب منهم « هنالك رأينا اللين يغشى قلبه ورأينا تلك الأسوار الحديدية التى نصبها الطمع على فؤاده قد ذابت وتطايرت حتى بدا لنا قلبه كله »

أن هذا الكتاب الذى نسميه «كلمات نابليون» مجموعة مقتبسات من كتب عدة اطلعت عليها وقد وضعتها كذلك لعلمى أن صورة نابليون الباطنة قد فات كثيراً من الكتاب الذين هم أقدر منى أن يعنوا بها ولكني قد محصت الامر واستخرجت قمحه من عصافته وأسقطت ما جاء به غير الثقات من الكتاب فاذا استطلعها القارئ اتضح له من أمر نابليون ظاهره وباطنه ما لا يجده الا فى عديد من الكتب اه

هذه مقدمة جامع الكتاب ولقد كان فى نيتى أن أقف عند هذا الحد ولكنى رأيت ان أضيف اليها سيرة نابليون التاريخية معتمداً فى ذلك على ما ورد في كتاب (حوادث

التاريخ العظمى) الذى وضعه لطلبة المدارس الثانوية فى انجلترا ذلك المؤرخ المشهور والكاتب الفصيح الدكتور « كولير » حتى يطلع القارىء على ظاهر الرجل وباطنه ولما كان لاكثر ما جاء فى هذه الكلمات علاقة تامة بهذا التاريخ بل لا يمكن الذى لا يعرف من سيرة نابليون الا النذر أن يتفهم حقيقة معنى هذه الكلمات فقد وجب ان نأتى بهذا التاريخ مقدمة لهذه الكلمات فعسى أن يكون فى تمثيله للناس على هذا المنحى الفائدة التى أرجوها

وردت هذه الكلمات فى النسخة الانكليزية معزوة الى المورد الذى أخذت منه ومذكوراً تحت كل منها رقم الصفحة التى جاءت فيه من كل كتاب وهذه ضربت عنها صفحا ولكنى رأيت ان آتى باسماء مؤلفى هذه الكتب وعنواناتها فى آخر هذا الكتاب حتى لا نفوتنا الفائدة التى أرادها الجامع

ابراهيم رمزى

مصر فى ١٠ ابريل سنة ١٩١٢

تاريخ نابليون

حياته المدرسية

ولد نابليون بونابارت في اجاكسيو احدى مدن جزيرة كورسيكا في الخامس عشر من شهر أغسطس سنة ١٧٦٩ وكان أبوه شارل بونابارت من رجال المحاماة الطليانيين خدم فى الجندية أيام كان أهل هذه الجزيرة يدفعون عنها غارة الفرنسيين على أن هؤلاء قد تغلبوا عليهم فى سنة ١٧٦٨. وكانت أمه تدعى ليتيزيا رامولينا وكان نابليون ثانى اخوته

لم يكد نابليون يبلغ العاشرة من عمره حتي دخل مدرسة برين الحربية وقضي بها خمس سنوات ونصف كان فى غضونها يقدم اسمه فى تقرير المدرسة الى الملك ومما ذكر فى هذا التقرير عن نابليون أنه كان ممتازاً فى دروسه الرياضية واسع الاطلاع على التاريخ والجغرافية أما اللغة اللاتينية فكان فيها متأخراً عن أقرانه تأخراً كبيراً كما كان فى أدب اللغة وغيرها أما هو فكان محباً للدرس حسن السيرة والمسلك تام الصحة

في سنة ١٧٨٤ غادر نابليون مدرسة برين ودخل مدرسة باريس الحربية قضي بها ما يقرب من سنة ثم نال رتبة ملازم ثان فى المدفعية الفرنسيه

حياته العمومية

مال نابليون الي الجانب السائد فى الثورة الفرنسية وهو الذى أطلق مدافعه في شوارع باريس على العساكر الوطنية فمزقهم كل ممزق وبذلك انتهى عهد الثورة الفرنسية وجاء عهد آخر فى التاريخ الفرنسى كان هو روح ذلك العهد أبد عشرين سنة لانه لم يمض قليل على فعاته هذه حتي عين نابليون بفضل المسيو براس أحد الديركتوارت (أو المديرين) الخمس الذين حكموا فرنساً فى ذلك العهد بالتضامن قائداً عاما لجيش فرنسا الداخلى وهو لم يبلغ من العمر الا خمساً وعشرين ربيعاً تزوج بعد ذلك بجوزفين بوهارنز أرملة أحد أشراف فرنسا الذين ذهبوا ضحية مقصلة الثورة الفرنسية وكانت أكبر منه سناً ولكن نشأ بينهما حب ذهب بتلك الفروق وتزوجها فى سنة ١٧٩٦ وقبل زواجه بقليل عينه ناظر الحربية قائداً عاما لجيش ايطاليا فذهب فى تلك الحملة

الحملة الايطالية سنة ١٧٩٦

لما وصل نابليون الى مدينة نيس وجد سهول ايطاليا الشمالية تموج بالعساكر النمساوية تحت امرة الجنرال بوليو

لم تكن الجنود الفرنسية شيئاً مذكوراً أمام النمساويين اذ كانوا لا يمتازون عن سوقة الناس فى شئ كانت ملابسهم رثة وأطعمتهم رديئة

لم يتدربوا التدريب العسكري اللازم وكانت أجورهم قليلة لا يدفع لهم أكثرها أما الخيل التي كانت في خدمتهم فلم يكن يربو الصالح منها على مائة بين أربعين ألفاً من الرجال وعلى الجملة فلم يكن فيهم شيء يرتضي الا صغر سنهم اذ كانوا جميعاً من الشبان كما كان قائدهم على أنه كان يظن أنه من خرق رأى الحكومة وضعف سياستها أن تكل أمر هذه الحملة الى فتي لم تكن له الخبرة العسكرية التامة التي يعتمد عليها قبل اليوم ولكنه استطاع أن يجعل من هذا الجيش غير النظامي جيشاً به أمكنه أن يخضع ايطاليا جميعها في اثني عشر شهراً . وقف في ميليسيمو وتقصد بها النمساويين وقطعهم عن محالفيهم من السردينيين فكان من وراء ذلك ان نزل ملك سردينيا وهو حاكم تلك الاصقاع يومئذ عن كل استحكاماته على ممرات الالب لفرنسا

قنطرة لودي

بعد أن عبر نابليون نهر البو جنوب بافيا رد نابليون قائد النمساويين بوليو المذكور نتقهقر هذا الى نهر « ادا » وكانت عليه قنطرة تسمى « قنطرة لودي » ما ذكرها الفرنسيون حتى يومنا هذا الا وثار الدم في عروقهم هنالك نصبت المدافع النمساوية على مدخل تلك القنطرة تقذف حللها كأنها رسل الموت الى صفوف الفرنسيين المتقدمين الذين اخترقوا ذلك الطريق الوحل حتى كانوا بين مدافع النمساويين يقصدون رجال المدفعية بسنكياتهم قبل أن يتمكن القائد بوليو من ارسال المشاة لانقاذ

رجاله وبذلك سقطت مدينة ميلان العظمى فى قبضة نابليون وتلا تلك الموقعة العظيمة تلك الموقعة الدموية التي حدثت فى « آركول » ومثلها فى « ريفولى » وتسليم مدينة « مانتوا » وكذلك أصبحت ايطاليا تحت أقدام شاب لم يتجاوز الثامنة والعشرين

معاهدة كامپو فورميو سنة ١٧٩٧

بعد أن اخترق نابليون جبال الالب وهو يطارد الارشيدوق شارل قدم بجيشه الى فينا ولكنه وجد مؤخرة جيشه يهددها جنود « التيرول » و« بوهيميا » فرأى أن يعقد صلحاً ثم عاد الى فنيس وادال حكومتها القاعة

كانت تلك المدينة نداء للنمسا وكفارة عن ذنوبها فى كل حين. نزل نابليون بها فسلبها ما كان فيها من تماثيل الخيل البرونزية التي نصبت فى كنيسة سنت مارك كما أخذ منها كل ما كان عليها من حلى الذهب وغيره أغرق أسطولها وشتت مراكبها وبذلك سقطت عروس الادرياتيك فى قبضة نابليون بونابرت ومما يروى عن دوق فنيسيا الاخير أنه سقط مغشياً عليه حينما نطق بعين الخروج من طاعة أمبراطور النمسا . ثم انتهت هذه الحرب بمعاهدة كامبو فورميو بين فرنسا والنمسا نالت فرنسا بها الاراضى الواطئة النمسوية والجانب الايسر من نهر الراين وجزائر أيونيان ومقاطعات (ميلان) و (مانتوا) وهذه جعلت جمهورية تدعى جمهورية السيسالب

نابليون فى مصر سنة ١٧٩٨

فكر نابليون بعد مدة قضاها فى راحة أن ينزل بمصر فنزل بها في صيف سنة ١٧٩٨ وغلب المماليك فى واقعة الاهرام وكانت غرضه من احتلال مصر أن يسلخ الهند من انجلترا ولكن لم يساعده المقدور على ذلك فقد كان الاميرال نلسون الانجليزي يتعقبه في البحر الابيض المتوسط حتى اذا تلاقى بمراكب نابليون فى خليج أبى قير هشمها وأغرقها (أول أغسطس سنة ١٧٩٨) فذهب نابليون بعد ذلك الى عكا يريد احتلال تلك البقاع فما استطاع امتلاك حصن عكا الحصين فانقطعت آماله يومئذ من مناهضة سلطة انجلترا فى الشرق فعاد الى فرنسا هو وقليل من ضباطه وغادر أكثر جيشه فى تلك السواحل على ما ألم به من المرض والتعب والمجاعة يحاول عبثاً أن يتغلب على تلك الديار

قضى نابليون فى تلك الحملة سبعة عشر شهراً (من ٩ مايو سنة ١٧٩٨ الى ١٨ اكتوبر سنة ١٧٩٩) سقطت فيها حكومة الديركتورين فى حمأة الفساد واضطربت مالية الحكومة واستردت النمسا بيها أملاكها في ايطاليا

القنصلية سنة ١٧٩٩

اتجهت الاعين جميعها الى نابليون وقد عزم على أن يحدث فى الحكومة تغيراً ظاهراً ذلك بأن أحد المديرين المدعو (سياس) وضع لفرنسا مشروع دستور كان على بونابارت وحيشه أن ينفذه فنقل المجلسين

الى (سنت كاود) لئلا يرهبهم الشعب بأفعاله وصادف مرور نابليون من مجلس الشيوخ الى مجلس الخمسمائة فلما كان بينهم صاح صائح «لا نريد (Dictator)» أى لا نريد أن نخضع لسلطة فرد متصرف وعززه غيره من أعضاء ذلك المجلس ثم التفوا حوله يصيحون ويلغبون فاضطر أن يدخل المجلس جملة من الجنود حماية نابليون من أذاهم

وكان أخوه لوسيان رئيس ذلك المجلس فقام عن كرسيه وآذن بانحلال الجمعية

وعقبه القائد (مورات) اذ سار فى عرصات المكان بفرقة من الجند معهم طبولهم يضربون عليها وهم يخرجون أعضاء ذلك المجلس وسنكياتهم مشرعة استعداداً لكل حادث فخرج الاعضاء يتعثرون ومنهم من قذف بنفسه من نوافذ المكان وجلا ورهبة

تهدم بذلك أساس حكومة المديرين وقامت فى فرنسا حكومه أخرى اسمها حكومة القناصل لانها كانت تحت ثلاثة رجال يدعون بهذا الاسم كانت مدة حكم القنصل عشر سنوات وكان اكبر هؤلاء نابليون وله السلطة كلها أما رفيقاه ومنهما سياس صاحب المشروع فلم يكن لهما من الامر الا سلطة استشارية وتتألف باقى الحكومة من ثلاثة مجالس مجلس الثمانين ومجلس الشورى وعدد أعضائه ٣٠٠ شخصاً ومجلس آخر عدد أعضائه مائة . كان العمل يوزع بين هذه المجالس بحيث لا يقترع مجلس على مشروع من الحكومة اذا كان هذا المجلس قد بحثه

ولا يبحث هذا المشروع مجلس يكون قد اقترح عليه

ابتدأ نابليون بعد ذلك ان يمثل دور الملك فكتب الى جورج الثالث ملك انجلترا يومئذ يقترح عليه عقد صلح بين الفطرين فرفض الملك هذه الفكرة وكان نابليون قد أخرج الروسيا من الاتفاق الذى حصل بين الدول ضده وكان حتما عليه أن يقضى عليه فانصرف نابليون فى داخلية البلاد الى تدريب جيش جرار من أبناء فرنسا فلم تمض عليه برهة من الزمان حتى اجتمع لديه ربع مليون من الجنود النظامية ثم عمد الى الصحافة فقيدها وكم أفواهها ونشر من الجواسيس والعيون فى انحاء فرنسا جيشاً آخر جراراً كانت ويلاته عليها لا تطاق ثم لما علم من طبيعة أمته انها تميل الى الزهو واللهو والظهور كان يعقد في سراى التويلاري حفلات الرقص يجمع اليها اجمل نساء باريس وارشق شبانها من الضباط فكانت هذه الحفلات أزهى مما كان فى أيام الملوك البربون

واقعتا مارنجو وهوهنلندن

عمد نابليون الى الاقتصاص من النمسا مرة ثانية فذهب الى شمالي ايطاليا فى ستة وثلاثين الف رجل والفين مدفعاً ثم صعد جبال الالب ذلك الصعود الذى لا يزال يذكره التاريخ حتى يومنا هذا بالاجلال والاعظام صعد نابليون بعسكره جبال الالب واصعد معه مدافعه يجرها في انجاز الشجر على ثلج تلك الجبال وجليدها ثم انساب على السهول بجيشه انسياب الجارف الهارى وسار به الى ميلان حتى لقيه طرفا

جيشه هذا قد اخترق جبل سان جوتارد وذلك قد جاز جبل ساميلون ثم بعد اسبوعين التقى بالقائد النمساوى ميلاس على سهول مورنجو بالقرب من الساندريا وكان جيش الفرنسيين يعدل ثلث حيش النمسا فلم يستطع المقاومة ولكن جاءه القائد الفرنسى (ديسيه) معززاً فنزل بفرقته وكانت آخر ما عند الفرنسيين من الاحتياطيين في تلك الموقعة على صفوف النمساويين فمزقهم شر ممزق ولكن سقط القائد على الارض ميتاً فى ساعة النصر المبين وتعقب الفرنسيون بعد ذلك أعداءهم حتى أجلوهم عن مواقعهم وردوهم فيما وراء الحدود

وفى شهر نوفمبر من تلك السنة كان القائد مورو الفرنسي قد أرسل الى نهر الراين فالتقى بالنمساويين وبدد شملهم فى تلك الموقعة المشهورة المعروفة بواقعة هوهنلندن

وانتهت هذه الوقائع بعقد صلح يسمى معاهدة ليتيفيل على أن شروط هذه المعاهدة لم تخرج عما جاء فى معاهدة كامبو فورميو السابقة

عودة المسيحية

عادت المسيحية الى فرنسا بعد تقلص ظلها ورحب الناس بتلك الاصوات التى كانوا يسمعونها كل سبعة أيام أصوات النواقيس فى الكنائس وأصدر نابليون بعد ذلك عفواً شاملا لمن أدى يمين الطاعة للحكومة الجديدة فى ايام معدودات فعاد اليها مائة الف او يزيدون واسترد كثير ممتلكاتهم التى سلبوها وانشأ نابليون الوسام المعروف بوسام

ليجون دونور اي وسام الشرف وكان يعطى للجنود والمدنيين على حد سواء

مؤتمر الشمال سنة ١٨٠١

كانت بريطانيا العظمى الدولة الوحيدة التي يخشاها بونابارت حتى عقد اتفاقاً بين ملوك أوربا الشماليين وبينه فانضمت روسيا الى فرنسا انضماماً تحالفياً ضد انجلترا ومراكبها ولكن نلسون كان قد ذهب الى كوبنها جن فضربها وأغرق مراكبها وحدث أن تآمر بعضهم على قيصر الروسيا فخنقوه وبذلك انحل ذلك الوفاق

معاهد أمين سنة ١٨٠٢

وفي ذلك العهد أيضاً ذهب جيش تحت امرة السير رالف أبركرمبي الى مصر وشتت ما كان فيها من بقايا جيش الفرنسيس فلما رأى نابليون كل هذه الخسائر لم يسعه الا أن يتطلب الصلح فعقدت معاهدة أمين الشهيرة في سنة ١٨٠٢ كان مضمونها أن تبقى بلجيكا لفرنسا ويبقى لها أيضاً الجانب الايسر من نهر الرين واستعادت جزرها الغربية الهندية وأخذت هولندا رأس الرجاء الصالح مرة أخرى وبقيت جزيرة سيلان لانجلترا ولكن نابليون لم يكن يريد السلام ولا ينويه انما كان يريد أن يحصل على مدة من الزمن يستطيع في اثنائها أن يتنفس قليلا حتى

يمكنه أن يعد نفسه مرة أخرى لحملة أعظم ونصر مرضى فى الخارج وكان الفرنسيون قد أعجبوا بما نال قائدهم من النصر والفتوحات المتوالية وأعجبهم ما فى حكمه من الرفق والصلاحية فصدر قرار من مجلس الشيوخ يقضي بجعل نابليون قنصلا أول مدى حياته وكان قد بلغت الحماسة من نفوس الفرنسيين مبلغاً عظيماً فصادف هذا القرار من نفوسهم كل الاقرار والدعاء

قانون نابليون

من الاعمال العظيمة التى فعلها فى هذا الزمان ذلك القانون الذى سمى بقانون نابليون فانه قد عهد الى ست من رجال القضاء فى حكومته بتدوين مواد هذا القانون كل فيما اختص به حتى اذا جمعت كانت قانون نابليون المعروف الذى لا تزال تنعم به فرنسا وتفتخر والذى نحا نحوه كثير من أمم أوربا فى وقتنا هذا بل اتخذوه أساساً لقضاياهم . أما المدارس في أيامه فقد كانت عسكرية الصبغة وكان أهم ما يعنى به المعلم اللغة اللاتينية والرياضيات والتمرين العسكري

تجديد الحرب سنة ١٨٠٣

قلب الانجليز لنابليون ظهر المجن بدعوى أنه كان كثير الاهانة لهم فى أقواله وأفعاله فعمدوا الى المراكب الفرنسية المطمئنة فى موانيهم فقبضوا عليها فهاج ذلك من سخط نابليون ولما لم يجد الى الثار سبيلا معجلة

أرسل فحبس كل انجليزى على ظهر فرنسا فى السجون ثم أرسل جيوشه فنزلت بمدينة هنوفر واستعدوا لغزو انجلترا وكان هذا أقصى آماله ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا فان انجلترا وضعت على شواطئها السفلى كل ما كان لديها من عدد وعدة : مائة وستة وثلاثون ألف بحار قد لزموا مدافعهم عن كثب وضعف هذا القدر من المشاة وقفوا كأنما هم يطرزون ساحل انجلترا على النقش بملابسهم الحمراء فلما رأى نابليون ذلك أعرض عن غزو انجلترا تاركا مراكبه البحرية فى بولون على ساحل فرانسا من جهة انجلترا وسار بعسكره الى نهر الدانيوب

تلقيب نابليون أمبراطور سنة ١٨٠٤

قبل أن يحوز نصره العظيم على الدانوب اقترف نابليون جريمة فظيعة . ذلك أنه كان قد تآمر عليه بعض ضباطه ومنهم بيشيجرو ومورو واكتشفت المؤامرة فزج الاول فى السجن ونفى الثاني ولكن ذهب ضحية هذه المؤامرة رجل برىء هو دوق انجين من بيت كندى المشهور اتهموه بالاشتراك فى المؤامرة على أن جريمته الحقيقية لم تكن الا أنه كان من البربون الذين يكرههم نابليون هنالك قبضوا على الرجل وحبسوه فى قلعة (فنسن) بعد محاكمة أشبه بالاضاحيك ثم قتل رمياً بالرصاص ودفن حيث كان ولم يمض قليل بعد ذلك حتى أصدر المجلسان قراراً بجعل نابليون أمبراطوراً على الفرنسيس والظاهر أن الامة لم تكن موافقة يومئذ على هذه التسمية فانه لما أخذ أصوات الشعب الفرنسى لم ينل

نابليون الا ثلاثمائة ألف صوت على أنه لم يحفل بذلك بل أعدت حفلة التتويج وصدر بها الامر من سان كلود

وكانت حفلة تتويج نابليون أمبراطوراً حافلة دعى اليها البابا (بيوس السابع) لاجراء رسوم التتويج فى كنيسة (نتردام) ولكن نابليون أبى أن يطأطىء رأسه للبابا عند التتويج فأخذ التاج من حيث كان وألبسه رأسه ثم ألبس زوجته (جوزفين) تاجها أيضاً بيديه

ملك ايطاليا. مايو سنة ١٨٠٥

وكانت الجمهوريات الايطالية قد اتحدت فيما بينها على تكوين مملكة تسمي بالمملكة الايطالية وقد تم ذلك لهم دعى نابليون ليكون ملكا على هذه المملكة الجديده فسار الى ميلان فى أبهة الملك والعظمة

ولما كان اليوم السادس والعشرين من شهر مايو دخل كنيسة ميلان وألبس نفسه تاج لمباردى الحديدى وهو يقول ان الله قد وهبنى هذا التاج فالويل لمن يحاول لمسه بيديه ثم جعل أوجنى بوهارناس ابن جوزفين الذي تبناه والياً ونائباً عنه فى مملكة ايطاليا

واقعة الطرف الاغر سنة ١٨٠٥

لما رأت بريطانيا والروسيا والنمسا أن نابليون قد هدد السلام العام فى أوربا وخشيت منه على ممتلكاتها وعلى نفسها اتفقت فيما بينها على مناهضة نابليون ومن المؤرخين ما يعزو هذا الاتفاق الي نقض نابليون ما كان

بينه وبين أكثر هذه الدول من العهود والارتباطات فجهزوا جيوشهم وساروا لملاقاة جيوش نابليون براً وبحراً فكانت الحروب فى أسبانيا من طرف والنمسا من طرف آخر وذهب الاميرال نلسون الانجليزي الى الطرف الاغر حيث المراكب الفرنسية فنشبت بينها موقعة تاريخية عظيمة تهشمت فيها مراكب نابليون والانجليز أيضا ولكن كان النصر فى النهاية للاميرال نلسون العظيم على أنه قضى نحبه فى ساعة ذلك النصر أما الجيوش البرية فلم تصادف من جيوش نابليون مثيلا بل تعقبت جنوده جيوش الخارجين فى أسبانيا وهزموهم هزيمة ألقت الرعب فى قلوب أوربا جميعها وسار نابليون يتعقب جيش (ماك) القائد النمسوي حتى اضطره الى التسليم وكان جيشه يربو على ثلاثين ألفاً من الرجال (١٧ اكتوبر) ثم سار الجيش الفرنسى بعد ذلك الى فينا يقوده نابليون حتى بلغ أبوابها ففر الامبرطور فرنسيس الى مدينة (المتز)

واقعة استرلتز سنة ١٨٠٥

وحدث بين الجندين معركة دموية لم يعرف التاريخ قبلها ما هو أنكى واشأم تلك موقعة استرلتز التي نال فيها نابليون النصر المبين هنالك تقابل الجيشان وجهاً لوجه وكان جيش النمسا يعززه جيش قيصر الروس ثمانين الفاً تقاتل مثلها من النفوس فلما دقت الطبول مشى الملوك الثلاث اسكندر الروسى وفرنسيس النمسوى ونابليون الفرنسى كل يقود جيشه بيديه وكان اليوم من أيام الشتاء فى ديسمبر فلم تشرق

الشمس وغشيت الارض غبرة أشبه بغبرة الموت فمشى نابليون بجيشه ومشى اسكندر بجنوده فالقى نابليون على أجنحة الروس من جيشه ما القى فاذا صفوفهم خطوطاً كانما هي على ورق فمن نجا منهم فقد شتتهم الرعب حتى اذا وجدوا أمامهم بحيرة كان الثلج على ظاهرها حسبوها منجاة من الموت فاذا نابليون قد أطلق أفواه مدافعه عليها تصب الحمم واللهب استطاير حتى أفنتهم عن آخرهم والتقى بقية جيشه بالنمساويين فاجلوهم عن مواقعهم وتعقبوهم بالسيف والمدفع حتى لم يبق لهم على الارض ظل بذلك انتهت تلك الموقعة الدموية وتم النصر فيها لنابليون فقد فيها الجيش المتحد ثلاثين الفاً من رجاله وفقد نابليون اثنى عشر الفاً . وعقدت بعد ذلك معاهدة فى السادس والعشرين من شهر ديسمبر بين النمسا وفرنسا

جمهورية الرين

نشأ من ذلك النصر الذي ناله نابليون تغير عظيم فى دستور المانيا فرقى نابليون منتخب بافاريا ملكاً ورقى منتخب ورتمبرج ملكا أيضاً وجعل من كثير من حكوماتها الصغرى جمهورية سماها اتحاد الرين وكان فرنسيس الثاني امبراطور المانيا قبل ذلك فى سنة ١٨٠٤ قد سمى نفسه فرنسيس الاول امبراطور النمسا ولكن انفصال النمسا عن المانيا تم رسمياً فى سنة ١٨٠٦ وهو اليوم الذي دالت فيه الدولة الرومانية المقدسة ومن ذلك العهد ابتدأ نابليون يهب الممالك للناس فقضى على

نابولى فى سنة ١٨٠٦ وجعل أخاه يوسف ملكا عليها ثم حول جمهورية
بتافيا الى مملكة سماها مملكة هولندة وجعل أخاه لويز ملكا لها وأطلق
على نسيبه مورات أشهر فارس ركب الخيل فى اوربا فى ذلك الزمان
جراند دوق ايالة برج

واقعتا اوراستات وجينا سنة ١٨٠٦

أهم ما في سنة ١٨٠٦ ما حدث فيها من تذليل بروسيا . كانت
بروسيا تمثل دورين مختلفين قالت جزاء هذا الرياء . كانت تدعى أنها
صديقة بريطانيا العظمى على انها لم تفعل شيئاً للحصول على هانوفر من
الامبراطور مع علمها بانه أعدى أعداء انجلترا وكان نابليون قد غير من
سياسته نحوها لانه لم يكن محتاجا يومئذ الى ممالأتها على الكرت وكان
قد ساءه من ريائها أمور فوجه اليها عساكره وحاربها فى واقعتين فى يوم
واحد هما أوراستات وجينا. هنالك قاتل عسكر البروسيين الذين كان
فردريك الاكبر قد دربهم أبد نصف قرن على الاعمال العسكرية حتى
كانوا مثالا للجندية الى أن هزمهم الهزيمة التى جعلت بروسيا ذليلة
تحت قدميه

قرار برلين سنة ١٨٠٧

لما كان نابليون فى برلين التى دخلها بعد اسبوع من حدوث واقعة
جينا أصدر قرارا مؤداه أن تقفل ابواب أوربا فى وجه البضاعة الانجليزية

وأعلن أن الجزائر البريطانية فى عزلة تامة كما أنه حرم على أوروبا أن تكاتب انجلترا فى شيء ولا تعاملها مطلقاً وعد كل مصنوعات انجلترا وحاصلاتها فى حكم المهربات كما أنه أعتبر الاملاك البريطانية نهبة محللة وأصدرت انجلترا من جانب آخر أمراً يحرم الاتجار مع فرنسا ومحالفيها ولكن لم يمكن استمرار العمل بتلك القرارات لانها كانت تحرم أوربا من كثير من ضروريات الحياة لاسيما وأن مصنوعات انجلترا من قطنية وحديدية وغيرها انما كانت تعتمد عليها أوربا كل الاعتماد لذلك كانت ترد اليها كلما استطاعت سفينة انجليزية أن تقف فى أي شاطىء من شواطىء تلك البلاد

معاهدة تلست سنه ١٨٠٧

كأن الروس لم تكفهم تلك الهزيمة المخجلة التي لقيها جيش القيصر فى استرلتز وكأن الالمانيين رأوا أن ما بقى لهم بعد فضيحة جينا أنما هو كثير على أنفسهم فعرضوا أنفسهم مرة أخرى لنابليون فأرسل عليهم هذا من عساكره ما بدد شملهم في الطرفين وقتل من الروس ستين ألفاً من الرجال فى واقعة فريد لاند التي حدثت فى منتصف شهر يونيه سنة ١٨٠٧ فاضطر القيصر اسكندر أن يعقد صلحاً فى تلست وهي مدينة واقعة على نهر نيامن . أما ألمانيا فقد فقدت البقية الباقية لها من الرعاية عند نابليون



نابليون فى واقعة أوسترلتز

حرب الجزيرة ١٨٠٨ الى ١٨١٣

لم ترد البرتغال أن تتبع نظام نابليون فى أوربا فأرسل نابليون اليهم قائده (جونوت) فاحتلها وطرد بيت براجانزا الملوكي منها فهاجروا الى البرازيل وعاد الجيش الفرنسى بعد ذلك الى أسبانيا فسل عرشها من مالكها البربوني ليتبوأه يوسف بونابارت ملك نابولي فلما خلا عرش نابولي منه رقى نابوليون نسيبه دوق برج ملكا لها

اضطرب الاسبانيون لذلك فاستغاثوا بالانجليز فجاؤوهم ونشبت بينهم وبين الفرنسيين مواقع لم يغلب الانجليز فيها الا فى واقعة (يتوريا) سنة ١٨١٣ وكان يرأسهم فى تلك الموقعة (ولنجتن) القائد الانجليزي المعروف . لم يحضر نابليون هذه الوقائع بل انما كان قواده القائمين بها ولم يزر أسبانيا الا فى السنة الاولى من نشوب الحرب قال وهو ذاهب اليها « اني ذاهب لانفض أرض الجزيرة من تلك الثعالب الانجليزية التي غشيتها ».

قضى نابليون ثلاثة أشهر غلب فيها الاسبانيين فى واقعة طليطلة (توليدو) ودخل مادريد عاصمة الاسبان فاتحاً منتصراً ثم غادرها بعد ثلاثة أشهر حين بلغه أن جيشاً نمساويا قد تحرك يريد محاربته

الحرب النمساوية سنة ١٨٠٩

فى هذه السنة جمع النمساويون نصف مليون من الجنود يريدون ان يمسحوا بها العار الذى لحق بهم بعدواقعتي مارنجو واسترلتز واضطربت البلاد اضطرابا لهذا العمل فقام الارشدوق شارل ودعا الامة الالمانية للقيام فى وجه نابليون وتكسير ذلك النير الفرنسي الثقيل فاخترق نابليون اليهم نهر الرين وقهر شارل المذكور فى بافاريا وضرب فينا وسار بأعلامه يخفق فى شوارع تلك المدينة العظيمة تدق طبوله وتعزف بوقاته عزف المنتصر القدير كل ذلك فى تسعة أيام (٣ ابريل الى ١٢) ثم اخترق نابليون بعد ذلك نهر الدانوب وحارب في واقعة لم تكن نهائية ذلك بأن النمساويين كسروا الكبري من ورائه بأن ألقوا كتلا كبيرة من الخشب في النهر فاضطر نابليون أن يحمى جيشه فى جزيرة مدة ستة أشهر

واقعة واجرام ٥ يوليه ١٨٠٩

كان اليوم يوما عبوساً قطريراً أرعدت السماء فيه ارعاداً أسكت أصوات المدافع ووقف الناس ولدانا شيباً فوق سطوح المنازل فى فينا وقد ملك الرعب قلوبهم حتى يكاد يتدفق الاصفرار منها وهم ينظرون الى ملتحم الجيشين وقف أربعمائة ألف من الارواح فى حومة الوغى حتى اذا انتصف النهار سقط قلب الجيش النمساوى وتشتت فلما رأى الامبراطور النمساوي ذلك وكان يشاهد تلك المناظر المفزعة من

جبل بجوارها فقد رشده فحول بصره عن مشهد الدماء والهزيمة وغادر مكانه الى حيث أراد

بذلك انقضت الموقعة العظيمة ثم عقد صلح يعرف بمعاهدة شونبرون التي نال فيها نابليون أرضا عليها مايونان من النفوس

ثاني زواج لنابليون سنة ١٨١٠

لم يكن نابليون من هـذا النصر ليريد أن يقضي علي النمسا وعائلة هابسبرج الحاكمة بل شاء لها البقاء وشاء لنفسه أن يتصل بها رغبة منـه في أن يكون نسـبه متصلا ببيت ملكي فطلق امرأته الاولى جوزفين زوجته المخلصة لانها لم تكن من بيت أمبراطوري ولم تكن تلد ثم تزوج ماري لويز ابنة أمبراطور النمسا على أمل أن تلد له ولداً وقد حقق الله أمله فانه لم تمض سـنة على زواجهما حتى ولدت له في مارس ١٨١١ ولداً سماه ملك روما ولـكن لم يقدر الله لهذا الملك أن يقبض على صولجان الملك فانه عند سقوط أبيه أخذه بيت هابسبرج وظل فيه حتي مات فى سنة ١٨٣٢

القبض على البابا سنة ١٨١١

قبل زواج نابليون بسنة حدثت حادثة فى روما من أغرب ماروى التاريخ وذلك أن نابليون لما ضم الى سلطته الواسعة أملاك البابا وكانت قبل ذلك مستقلة أصدر البابا منشوراً قضى بحرمان نابليون من الكنيسة

فلم يهتم نابليون بهذا القرار الصارم الذى كان أقطع ما فى يد البابوات من آلات الانتقام . وأتى بما هو أنكى وأشد فانه أرسل الى روما بعضاً من رجال الجندرمة تسلقوا جدران سراي البابا وأخذوه منها فى الليل أسيرا الى فرانسا فأبقاه نابليون فى فونتنبلو

ذروة مجد نابليون ١٨١١

فى هذه السنة بلغ نابليون ذروة المجد فقد امتدت الامبراطورية الفرنسية من حدود الدانمرك الى حدود مملكة نابلى فكان على هولانده ملك من أهل نابليون وآخر على نابلي وثالث على وستفاليا وكان أخوه يوسف ملكا علي اسبانيا وكان برنادوت أحد قواده العظماء ملكا على السويد

وبما أن نابليون كان حامي جمهورية الرين فقد كانت ولايات المانيا طائعة له وكانت النمسا وبروسيا أطوع اليه من بنانه بعد ما أصابهما من الخذلان المتوالي كما انه كان حامياً أيضاً للجمهورية الهلفيتيه التى أدخل فيها أقاليم سويسرا أما الروسيا فكانت محالفة له

كل هذه الامبراطورية الواسعة كل هذه السلطة العظيمة لم تمض عليها أربع سنوات حتى تبدلت فكأنما هي لم تكن وقسم لنابليون من قصوره العظيمة ومنازله الواسعة منزل صغير ذو حديقة صغيرة على صخرة فى جزيرة صغيرة من المحيط الاطلانطيقى العظيم فسبحان مذل الملوك

أفول نجمه

غزو الروسيا سنة ١٨١٢

كانت الروسيا قد اتفقت مع نابليون على أن لا تعامل انجلترا ولكنها نقضت ذلك العهد فشاء نابليون أن يقتص منها جزاء ذلك فجهز اليها جيشاً يبلغ عدده نصف مليون وسار الى الروسيا بالرغم من نصيحة الناصحين فاخترق بجيشه نهر نيامن وتقدم صوب موسكو وكان جيش الروس يربو على ثلاثمائة وستين الف مقاتل ولكن هؤلاء لم يعتمدوا على قوتهم وسلاحهم كما اعتمدوا على برودة الطقس في بلادهم فنشأت بينهم مواقع ليست بذات شأن كبير كانت الخسارة واقعة فيها على رؤوس الروس ولم يزل نابليون يتقدم بجنوده نحو مدينة سمولنسك حتي ضربها بمدافعه ولكن لم تكن المقذوفات تؤثر فيها ففر أهلها عنها ثم دخلها نابليون فلم يجد بها مأوى فتقدم بعد ذلك الى موسكو وحدثت بينه وبين كوتوسوف القائد الروسي موقعة بروديننو (٧ سبتمبر) ظلت من اول النهار الى منتصف الليل وكان عدد كل فريق يربو على مائة وثلاثين الفا من الجنود وانتهت الموقعة بانسحاب الروس الى الشمال صوب موسكو بعد ان قتل في هذه الموقعة ٩٠ الفا او يزيدون

حريق موسكو في ١٤ سبتمبر سنة ١٨١٢

مضى اسبوع على موقعة بروديبنو ونابليون لا يجد لعسكره مأوى بعد اذ أصاب الروماتزم أرجلهم فسارع فى السير الى موسكو ولم يكد يرى الجند ماذنها العالية وقد اتصل بعضها ببعض فى سلاسل مذهبة حتى هللوا فرحا وكانت المدينة عند ما دخلوها هادئة ساكنة لا أثر للروس فيها ولكن شبت فى الليلة الثانية من بغائهم فيها نار حامية وشبت ثانية وثالثة حتي اصبحت كانما هي أتون عظيم . فلم يستطع نابليون المقام فيها فعاد منها الى مدينة كريملين وبقي بها قليلا وأرسل الى القيصر يطلب الصلح معه فابى القيصر ذلك فلم يجد نابليون بعد ذلك بدأ من سرعة العودة الى فرنسا

العودة

ابتدأت عودة نابليون الى فرانسا فى التاسع عشر من شهر اكتوبر سنة ١٨١٢ فتبعهم الروس من الوراء وظلوا يناوشونهم ولكن لم يكن السوء كله ناشئاً مما فعلوا بل مما بلتهم به الطبيعة يومئذ من زمهريرها وثلجها فقد كانوا يسيرون على أرض مغشاة بالصقيع ثم يهطل عليهم الثلج من كل جانب فيوقفهم فى مكانهم لا يتحركون بل كانت الصفوف تخترق الصفوف هذه متحركة الى أجل وتلك جامدة بعد ذلك الاجل وما زالوا كذلك ينقص البرد من رجاله والجوع من خيله حتي نزل

بمدينة سمولنسك فوجد فيها مطعماً قليلا ومرعى ضئيلا على شاطئ
نهر بريسينا هنالك قطع عليهم خط الرجعه اذ جاءهم الروس من أمام
هذا النهر وناوشوهم فقتلوا منهم وأغرقوا أربعة وعشرين ألفا فلم يسع
نابليون بعدها الا أن يسافر هو الى باريس على زحافة فوصلها ووصل
الجند بعده لم يبق منه الا بضع آلاف أهلكهم الجوع والبرد

هلك من جنود نابليون فى هذه الحملة المشئومة مائة وخمسة
وعشرون ألفا فى ميادين القتال ومثلها نصبا وجوعا ومائة ألف أخذوا
أسرى. منذ ذلك الحين أفل نجم نابليون

واقعة ليبزج ١٨١٣

عاد نابليون الى باريس فى منتصف ليلة الثامن عشر من ديسمبر
وكان يعلم أن أوروبا كلها متحفزة للوثوب عليه فسرعان ما جمع حوله
جيشاً يربو على ثلاثمائة وخمسين ألفا من الرجال فى أربعة شهور — ثم
نشأت حروب اشتركت فيها أوروبا ضده حتي أن برنادوت نفسه وهو
الذى جلس على عرش السويد بفضل نابليون انضم الى هذا التحالف
وكان نهر الالب مشهد تلك الحروب ففاز نابليون بالنصر فى موقعتي لوتزن
وبوتزن فى شهر مايو سنة ١٨١١ ولكنهما لم توقفا أوروبا عند حدها
بل جرأتهم خسارته الاولى على استمرار الحرب فاجتمع مندوبو الدول
فى مدينة براج وقرروا أن تترك النمسا جانب نابليون ثم استمروا في
الحرب واقعة بعد موقعة حتي قاتل نابليون الواقعة الاخيرة واقعة ليبزج

هنالك وسط القتال خانه عشرة آلاف من السكسونيين فتركوا مواقعهم وانضموا الى أعدائه وبذلك انقطع خط السير الذى رسمه نابليون (١٨ اكتوبر) فضاع النصر على الامبراطور

غزو فرانسا

عزمت الدول على غزو فرانسا فساروا بجيوشهم نحو باريس وكان ولنجتون القائد الانكليزي فى الجنوب فجمع نابليون كل ما كان لديه من قوة وذكاء واستعداد فطري فكان مجموع ما جمعه من العساكر لا يزيد عن مائتي ألف ر. ل وكان قد خان عهده كثير من ضباطه حتى نسيبه مورات . تقدم جيش أوروبا المتحالف نحو باريس فخرج اليهم نابليون ولاقاهم فانتصر عليهم فى عدة وقائع كادت تقضى على آمال أوروبا جميعاً واستمر كذلك شهرين كاملين تزداد القلوب فيها وجلا من الاندحار حتى غلط نابليون غلطة كانت القاضية وذلك أنه أراد أن يهاجم مؤخرة جيوش أوروبا ففعل وكان قصده من ذلك أن ينزل الرعب في قلوبهم ولكنهم أسرعوا الى الامام فدخلوا باريس من غير تعب وكان تسليمها على يد القائد مارمونت

نفي نابليون الى جزيرة البا

دخل ألبراطرة عاصمة نابليون يمشون فيها ربحة وحيثة وكان نابليون بعيداً عنها فلما وصلها ذهب من فوره الي فونتينبلو . وبعد ذلك



نابليون فى واقعة واجرام

بيومين أصدر مجلس الشيوخ قراراً بعزل نابليون ثم أمضى نابليون اعلان نزوله عن ملك فرنسا وايطاليا فى الرابع من شهر ابريل وفى العشرين من ذلك الشهر وقف نابليون وألقى على بعض جنده خطبة وداع مؤثرة أسبلت دموع الحاضرين وصعدت زفراتهم ثم غادرهم بعد ذلك الي فريجوس ومنها نقلته مركب انجليزية الى جزيرة البا الواقعة فى البحر الابيض المتوسط فى مياه ايطاليا العليا بالقرب من شواطئ تاسقونيا وقد حفظ لنابليون لقب الامبراطور ومنح مرتباً سنويا قدره ستة ملايين من الفرنكات ولم يكد نابليون يستقر في البا يومين حتى توفيت زوجته المخلصة جوزفين فلما بلغه نعيها حزن عليها حزناً كثيراً

عودة البربون الى فرنسا

بعد نفي نابليون الى جزيرة البا رأت الدول أن تعيد عائلة البربون الى فرانسا فعادوا اليها وجلس على عرشها لويس الثامن عشر أخو لويس السادس عشر الذي من أجله قامت الثورة الفرنسية والذى قتله الوطنيون فى شوارع باريس. عاد هذا الملك الى عرش فرنسا وعادت تلك العائلة ومبادئها الاولى

لم يتعظ بما أصاب أخاه من قبل بل آذن فى البلاد بأن أملاك هذه العائلة يجب أن ترد اليها وكان قد امتلك أكثرها كثيرون آمنين هادئين . فقام الشعب لذلك وقعد فلما رأى الملك ذلك أراد أن يهدئه

فأصدر قراراً ضمن لأمته به ثمانية امتيازات عدها هبة من لدنه بيد أن هذا الشعب لم تهمه هذه الامتيازات ولم تكبر الملك في عينيه لأنها كانت مقررة من قبل فلم تكن الا من قبيل تحصيل الحاصل تلك الامتيازات هي:

المساواة أمام القانون — حق الدخول فى الوظائف — وحدة الادارات — حكومة دستورية — الضريبة لا تقرر الا بالاقتراع - الحرية الشخصية — حرية العبادة — حرية المطبوعات

البنفسج المتجسد

انتشرت في هذه الاثناء جنود نابليون متفرقة فى بلدانهم وقراهم وانتشرت فئات الجنود الأوروبية الغرباء فى مدنها فتذمر الاولون وقالوا ان فرنسا لا تستطيع أن تطعم أولئك الجنود منها بلا عمل يؤدونه لها ولا يصح أن يظلوا يأكلون وينامون بين العيون الساهرة من أبناء جلدتهم وتذكر الناس بأعمال الملك الجديد مصايب العهد القديم فانتشرت فى فرانسا جميعها نبوة غريبة ذات أنهم قالوا انه اذا جاء ربيع هذا العام ظهرت فى البلاد زهرة بنفسج فى صورة انسان فأخذ الناس يتوقعون ظهور هذا البنفسج الغريب على أنه لم يكن الامر الا فتنة تدبر لم يحن أوان اشتعالها فكانت مغطاة بأوراق ذلك الزهر اللطيف لفظاً ومعنى فقد اتضح أن النساء كن يتزين بهذا البنفسج فاذا فتشت أوراقه ظهر من تحتها صورة الامبراطور نابليون المحبوب

قضى نابليون فى جزيرة البا حوالى عشرة أشهر (من ٣ مايو سنة ١٣ الى ٢٨ فبراير سنة ١٤) وكان حوله بعض عساكره الاقدمين فئة تستحب الموت فى سبيل رضاه وكان يصل الى هؤلاء من أقاربهم فى فرانسا ما ينبئهم بقرب اليوم المنشود فكانوا يبلغون ذلك الى نابليون فاشتد تفكر نابليون بهذا الامر وأخذ يدبر للأمر عدته

مؤتمر ڤينا فى سنتى ١٨١٤ -- ١٨١٥

بعد نفي نابليون الى البا أرسلت الدول مندوبيها الى مدينة ڤينا لحضور مؤتمر ينظر فى طريقة اعادة الامن والنظام الى نصابهما في أوربا فقضوا لذلك أشهر الشتاء لم يعملوا شيئاً بل المروى عنهم أنهم كانوا يقضون الليل فى الرقص مع الحسان ومعاقرة بنت الحان ثم اذا جاء الصبح ذهبوا الى حيث يتكلمون وظلوا كذلك حتى جاءهم نبأ بأن نابليون قد عاد الى فرانسا فصرخوا في المكان صرخة مدهشة كادت توقع جدران ذلك المكان

عودة نابليون الى باريس مارس سنة ١٨١٥

فى صباح يوم من أيام مارس سنة ١٨١٥ ركب نابليون زورقا قام به من جزيرة البا الى ناحية بجوار بلدة (كان) على الشاطئ وكان معه من رجاله الاقدمين ستمائة رجل وانضم اليهم ربعمائة من أهل پولانده وكورسيكا فلما بلغ مدينة جرينوبل انضم اليه سبعمائة من جنود

لويس الثامن عشر. وكان هذا الملك قد سمع بهروب نابليون فأرسل اليه المارشال (ناى)أحد قواد نابليون المشهورين « وأشجع الشجعان » كما كان يسميه نابليون نفسه . ذهب المارشال لملاقاة نابليون وأسره فى قفص من الحديد كما وعـد بذلك الحكومة الفرنسية ولـكنه اذ رأى وجه سيده المحبوب ورأى الجيش الذى معـه يضطرب ويهز أجزاء السماء بدعائه Vive l'empreur (يحيي الامبراطور)لم يسعه الا ان يردد الدعاء مع الجنود .وقصة هذا الدعاء أنه لما التقى نابليون بهؤلاء الجند وعلم أنهم انما أتوا للقبض عليه وقف أمامهم على ظهر جواده ثم قال« ياعساكر أوسترليتز وأبطال أوروبا هل جئتم لتقبضوا على قائدكم » قالوا جميعاً بصوت المتحمس« ليحيي الامبراطور » ثم نادى عليهم نداءه المحبوب واجتمعوا وراءه فى مشهد عظيم حتى بلغوا باريس فى ليلة العشرين من شهر مارس وكان الملك لويس قد غادرها قبل وصولهم بساعة

هنالك بين صهيل الخيـل وصلصلة السيوف وجر العربات تقـدم نابليون فى عربة حتي وصل الى قصر التوليرى فصعد الى غرفة المطالعة وهناك أخذ يباشر الاعمال كعادته كانما كان فى فسحة قصيرة ثم عاد الى العمل . هنالك أخذ يشتغل ليل نهار بعزيمة لم يعرف لهـا حد ولـكن نابليون كان يستعد للزمان . أخذ نابليون يفحص ما جد بعده ويدقق البحث ثم وافق على القرار الذى أصدره لويس ثم لم يدخر من وسعه شيئاً ولم يضع من زمنه لحظة من غـير عمل لتجهيز جيش جرار فجمع حوله مئة وعشرين ألف جندى للحرب

واقعة واترلو

قضى نابليون مائة يوم فى باريس قبل أن تستطيع أوروبا جمع شملها وأخيراً حشدت أوروبا مليونا من الجند لمقاتلة جنود نابليون

فرأى نابليون أن ينقض على جيش بروسيا وانجلترا في أراضي بلجيكا ثم يتوجه بعد ذلك لمقاتلة باقى الجيوش على شواطىء الرين فسار بجيشه الى (شارلروا) فالتقى بقائد الجيش البروسي وما زال به حتي أجلاه عن مواقع القتال وانصرف الى الجيش الانجليزي فأصلاه ناراً حامية حتى لم يبق من جيش ولنجتون الا معدود اضطر أن يصفه أفراداً متباعدة جداً وعند ساعة النصر لنابليون بل عند ما ابتدأت الهزيمة تقع في النهاية على رؤوس الانجليز التفت نابليون فاذا جيش بلوتشر البروسى قد عاد من الوراء يعزز أفراد الجيش الانجليزي فعلم نابليون أن هزيمته محققة وأنه لاشك مقهور فترك ميدان القتال وركب مركباً انجليزية وعاد الى باريس وهناك أمضى وثيقة النزول عن الملك لابنه (ملك روما) فى الثاني والعشرين من شهر يونيه ولكن جيش المتحدين أبى أن يقرها فألغاها وأعاد لويس الثامن عشر الى الملك فى السابع عشر من شهر يوليه

التسليم

أسرع نابليون بالرحيل الى (روشفورت) يقصد السفر الى أمريكا ولكنه لم يستطع ذلك لان المراكب الانجليزية كانت تراقب الشواطئ . فى الخامس عشر من شهر يوليه ركب نابليون سفينة انجليزية تسمى (بللروفون) أوصلته الى بلدة توربای من بلاد انجلترا وهناك أبلغه قبطانها

أن الحكومة الانجليزية قضت له بالنفى الى جزيرة سنت هيلانة

سنت هيلانه

وصلت السفينة (نورثمبرلند) بنابليون الى هذه الصخرة القائمة فى بحار المحيط الاطلسى فى الخامس عشر من شهر اكتوبر وهناك قضى الامبراطور العظيم ست سنوات كان فيها كثير القراءة كثير التفكير وكان حارسه فى هذه الجزيرة السير هدسون لو شديد المراقبة عليه كثير الاهانة له حتى قضى نحبه فى الخامس من شهر مايو سنة ١٨٢١

فدفن الى جانب غدير صاف كانت تظلله أشجار الصفصاف والسرو وتظل نابليون من حر تلك الجزيرة وبقيت جثته هناك حتى قامت بعثة من فرانسا لنقله الى الوطن الذى حن اليه وأوصى بنقل جثته اليه « بين الامة الفرنسية العزيزة التي أحبها حباً جماً »

ذهبت هذه البعثة فى شهر اكتوبر من سنة ١٨٤٠ فحملته الى فرانسا حيث أقيم له مأتم لبس فيه الناس عليه الحداد

وقد أخذ لنقل الجثة من ميناء الهافر الى باريس خمسة أيام وذلك لان فرنسا كانت تحتفل بها في كل مكان وصلته وقد بلغ من حب الناس له انهم مع علمهم بموته لم يشاؤا الا أن يقولوا Vive l'empreur ليحيي الامبراطور ايذانا بأنه حي فى قلوبهم على الدوام وانه ما عجل بموته الا ما فعلته به انجلترا حتي حرمت عليه رؤية زوجته وابنه الوحيد من يوم سفره . فقضوا للرجل الا أن يموت بعيداً عن فلذة كبده ومشتكى حزنه قبل أن يلم به المشيب

الفصل الأول

نابليون عن نفسه

قال نابليون :

« قد كنت أنفق ساعات لعبي في العمل ولقد طالما قضيت الليل افكر فيما التي عليّ من دروس النهار ذلك بأن طبيعتي لم تكن تتحمل أن يكون غيري المبرز في فرقتي »

« اني لارجو والسيف في محملي وديوان هوميروس في جيبي ان انحت سبيلي في هذه الحياة »

ولما كان نابليون في مدرسة برين كان اخوانه في المدرسة يقللون من شأنه فدعاه ذلك الى ان دعا احدهم للمبارزة معه فلما علم ناظر المدرسة بذلك حبس نابليون في سجن المدرسة عقابا له فكتب نابليون الى الناظر خطابا لم يسعه بعده الا أن أطلق سراحه . وهذا تعريب الخطاب

« سيدي — لن أعمد الى تهدئة ما في نفسي من سورة

الغضب مهما كان في ذلك من الخطورة لاني أعتقد من صميم قلبي أن داعيه شريف مقدس انى لا أطيق أن ارى ابني المحترم يهان امام عيني — ولو اعترضت المصلحة وقامت القوائم . وانى لأحس أن في الشكوى الى الرؤساء من مثل مارأيت ضعة وذلة وان الولد الجدير بالبنوة جدير ان يثأر لنفسه اذا أصابه مثل ذلك »

« ما أكثر ذكرات الصبا عندى كلما خلا فؤادى من التفكر فى الامور السياسية أو فيما يصيبنى من يد ساجنى (السيرهدسون لو) على هذه الصخرة . هنالك أفكر فى حياة الانسان وهنالك تتمثل لي فكرتى الاولى فى أننى كنت أعيش أسعد الناس اذا كان لى دخل قدره خمسمائة جنيه فى العام أعيش بها عيشة والد بين زوجته وبنيه فى منزلنا القديم فى أجاكسيو

انك يامنتلون تعرف هذا المنزل وتذكر حسن موقعه لقد طالما أفقدت بستانه الجميل أبهى ما كان فيه من عناقيد



نابليون يقدم سيفه الى صاحبه ويوصيه أن يسلمه الى ولده

الكرم أيام تجرى أنت ورفيقتك بولين في نواحيه تقطفان منه ماشاءت طفولتكما . ماأسعد هذه الاوقات أن للوطن لسحرا خالدا تنمقه الذكرى بازهى مايستميل القلوب حتى الى طيب ثراها ذلك الثري الذى نال من كل حاسة نصيبا حتى ليكادالانسان وعينه مقفلة أن يعرف أين دبت قدمه من ذلك المكان فى زمان الطفولة

انى الى اليوم أذكر وأنا جم العاطفة كيف مشيت بجوار باولى ذلك الامير العظيم حينما ساح فى جزيرتنا . هنالك كنا خمسمائة من أبناء أرقى أهل الجزيرة فى معيته ولقد كنت أشعر بصلف اذ مشيت بجواره وكان يرنبى ، كما يرى الوالد ولده، تلك المآزق التي جاهد فيها مواطنونا الكرماء ، فى سبيل استقلال البلاد . أما والله ان أثرها ليزال يرن في صدري»

وكتب الى الاستاذ رينال من خطاب في سنة ١٧٨٦

«أرانى من الكتاب وان لم أعد الثامنة عشرة من العمر تلك السن التي يجب على المرء فيها أن يتعلم . افترى جرأتى هذه مستوجبة هزؤك ؟ اذا كان العفو دليلا على سمو الحجى فقد

وجب أن يكون عفوك عظيما . انى باعث لك بالفصلين الاول والثانى من كتاب أردت ايداعه تاريخ كورسيكا . ومرسل اليك معهما محصل الباقى . فان راقك ما أفعل استمررت وان نصحت لى بالوقوف انقطعت »

وكتب الى والدته فى خطاب تاريخه ١٧٨٩

« ليس لى منزع الا العمل لذلك فانا لا ارتدى ثيابى الا مرة فى كل ثمانية أيام وتريننى لا أنام منذ مرضت الا قليلا أذهب الى مخدعى فى العاشرة من الليل وأفيق فى الرابعة من الصباح . أما طعامى فأتناوله مرة فى اليوم وذلك فى الساعة الثالثة وقد وجدت ذلك مفيداً لصحتى »

وكتب الى أخيه يوسف فى ٣ يوليو سنة ١٧٩٢

« كل يعمل لنفسه ويود أن يرقى فى الناس بالمين والوشاية ولقد رأيت الناس فى هذه الايام أمشى بالدسائس وأسعي فيها منهم فيما مضى فليت شعرى أفلا يقضى هذا على الامانىّ والامال أنى لاشفق على أولئك الذين يقتادهم سوء الحظ الى أن

يمثلوا في الوجود دوراً ما كان أغنام عن تمثيله . لئن عاش المرء في هدوء تحفه محبة أهل بيته له ـ اذا كان له أيها الاخ أربعة آلاف من الفرنكات — لقد كان له من أمره رشد . كما انه يقتضي للمرء ان يكون بين الخامسة والعشرين والاربعين من العمر لتقصر تخيلاته فلا تعود تشتق فؤاده . اني اعانقك واوصيك بالاعتدال اذا اردت ان تعيش هانئاً »

وقال نابليون في خطاب الى اخيه يوسف

« اراني في كل وقت من اوقاتي كما يكون الرجال ليلة موقعة عظيمة وذلك لاني معتقد من صميم فؤادي انه اذا طاح الموت بين الجموع يفصل بين الامور ويقضي كان من الجنون ان يضطرب له القلب او يهتم به الوجدان. خلقت ثبتاً اقابل المقدور بشجاعة وساظل كذلك الا اذا بدّل مني »

« دعاني شبابي ايام رأست جيش فرنسا في ايطاليا ان اكون على جانب عظيم من التحفظ فيما يبدو من اخلاقي وان ارعى شرائط الآداب جد المراعاة ولولا ذلك

مااستطعت ان ابسط سلطتي على رجال اكبر مني سنا واكثر تجربة. اجل فقد اختططت لنفسي سيرة لو محصها متعمد.ما وجد في غضونها غبرة . لقد كنت في الخلق الرفيع مثالا كما كان « كاتو » بين الرومانيين ولا شك ان الناس كانوا يرون ذلك مني كما اني كنت فوق ذلك كالفلاسفة والصالحين . كيف لا وانا لا أستطيع أن احتفظ برفعتي الا اذا ظهرت في الجيش خيراً من أي رجل فيه. لو انني ملت مع النفس في ضعفها لاضعت سلطتي وفقدت سطوتي »

وقال في خطاب الى أخيه يوسف

« أريد الوحدة والعزلة فقد أنضاني المجد واتعبني: غاض معين الشعور وأصبح النصر لاطعم له. يالله مالي ولم أعد التاسعة والعشرين قد بلغت النهاية . . . »

وقال في خطاب الى چوزفين

« اقطع في اليوم عشرين أو خمسا وعشرين مرحلة بين

ركوب عربة وامتطاء جواد . أنام في الساعة الثامنة واستيقظ للعمل فى منتصف الليل »

« أنا دائم الشغل كثير التفكير فاذا رأي الناس أنني مستعد على الدوام لتدبير ماتخلقه الظروف من عاجلات الامور وحل عارضات المسائل فذلك لانى قبل أن أشرع فى أى عمل من الاعمال اكون قد فكرت فيه وتدبرته وتبينت ماقد ينشأ عنه فلا تحسبن انه الذكاء يملي علىّ ما أقول وافعل اذا حدث امر لم يكن فى الحسبان كلا بل هو التفكير والتدبير . اني دائم الاشتغال ، اشتغل علي المائدة وفى قاعة التمثيل وغيرها وافيق في الليل لكى اعمل عملا »

وقال وهو في جزيرة سنت هيلانة

« الجد والكد من عناصرى ، لقد عرفت حداً لعيني وساقى ولكنى لم استطع ان اعرف لمقدرتى على الشغل حداً »

« قدرت ثم خلقت للعمل . . . لا لا أمسك بفأس ولا معول »

« لا اعرف حدا لما استطيع انجازه من الاعمال »

« لقد ضاعفت من نفسى بنشاطى »

«انى على الدوام فى حالة واحدة. ان من كان مثلى لا يتغير»

« مثلى من الرجال لا يبطل جهده حتى يوارى فى قبره»

« لا أستطيع ان أ كتب حسنا لان عقلى مشتغل بشيئين فى حين واحد . أفكارى من جهة وخطي من جهة أخرى . ولا تزال تستبق حتى تسبق فاذا الخط من الآراء فى مكان سحيق . . . لا يمكننى اليوم الا أن أملى ما أريد فضلا عن سهولة هذه الاملاء فانها عندى كما يكون الحديث بينى وبين الناس»

« ان حضور ذهنى بعد منتصف الليل لحضور نام حتى لو أفقت من نومى بغتة لحادثة من الحوادث كنت، كانما لم أ كن نائما فلا العين يبدو عليها أثر الفتور ولا ذهنى اذا أمليت نم عن أنني كنت قبل ذلك فى سبات »

· «تذكر ان الكون قد خلق فى ستة أيام . اطلب منى ما تشتهى الا الوقت . فانه الامر الوحيد الذى لا تصل اليه يدى»

«انى أشعر باللانهاية فى نفسى»

«وهبنى الله القوة والارادة لتذليل كل عائق»

«انى لا أجهل طريقة صنع شئ مما احتاج اليه فاذا لم أجد من يصنع بارود المدفع صنعته بيدى»

«بلغت المجد خطوة خطوة»

«طبيعى فى نفسى ان أرأس وأقود»

«جعلتنى الفتوحات كما أنا، وهى وحدها التى تحفظ لى هذه المنزلة»

«ان رأيى اذا أردت أمراً أن أقصده ، لا تعوقنى عنه الاعتبارات ولا تقصر من جهدى حياله»

«لا تبلغ الغايات الا بالعزم والمثابرة»

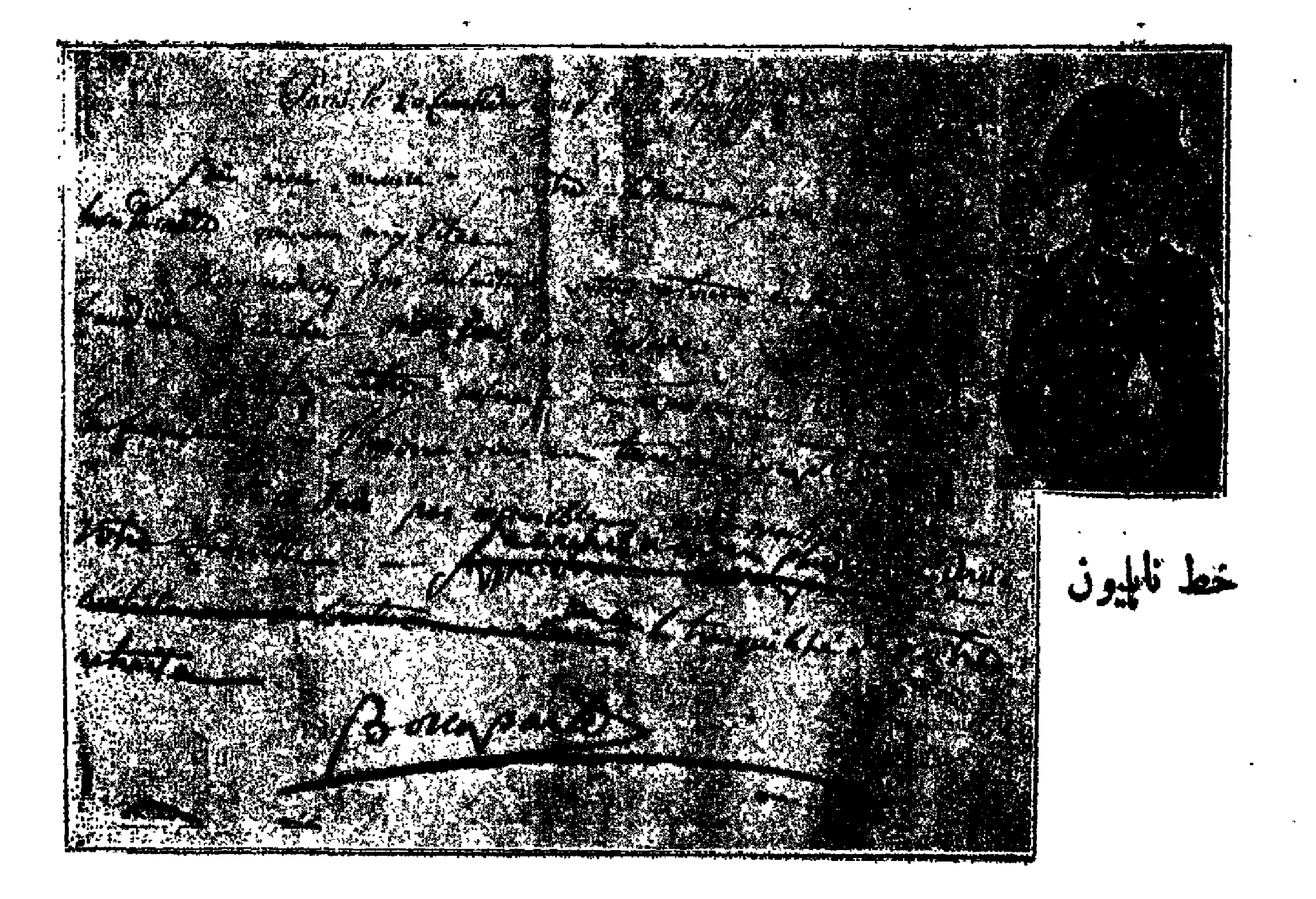
«من الناس من يعزو جلائل النجاح الذى نلته الى حسن حظي والتوفيق فقط ولكنهم اذا ذكروا ما أصبت من الخذلان قالوا انه لاغلاط اقترفتها، على انى اذا قدمت عن نفسى حسابا علم الناس اننى فى الحالين انما كنت أعمل بقلبي وفؤادى طبقا لمبادئ أعرفها»

«انه وان كان البوربون والانكليز يسلمون بانني قد عملت بعض ما يسمى عملا صالحا ولكنهم مع ذلك يعزونه الي وساطة جوزفين على ان جوزفين لم تكن تتداخل فى الامور السياسية»

وقال فى خطاب الى مادام بورين

«لاتحسبي ان المقام العالى الذى استبحته قد غيّر من قلبي نحوك فليست قيمتي بالعرش ولا الملك انما قيمتي فى نفسى»

«أشفق ان أكون قد أتيت من الامور من غير أرادتى مالا يرتضيه العدل والانصاف بسبب اضطرارى الى تصديق



Bonaparte

خط نابليون

الحكاية لاول وهلة، من غير تحقق من صحتها ولا تثبت
وأخشى انني لم أقض كثيراً من ديون الشكر على الناس .
ماأشق رجلا لا يستطيع ان يفعل كل ما يجب عليه »

وقال فى خطاب الى مادام بورين

«ما أسعدك.انه لا يطلب منك الظهور للناس فى مشهد
أما أنا فمضطر الى التجول بينهم فى معية وبطانة وهو أمر ثقيل
على نفسى ولكنه يحلو فى عين الشعب وبه أرضيه»

وقال فى خطاب الى أخيه الملك يوسف

اني ما عملت يوما للحصول من الباريسيين على هتافهم
ودعائهم ، لاعتقادى انني لست ملكا من أهل التمثيل
وما أخذت يوما بالعجلة والتهور فى تنفيذ امر من
أمورى لاعتقادى انه كان امامى من الوقت مايكفى للتأمل
والتدبر ولقد طالما قلت لمجلس حكومتى ان مشروعاتى لا تتم
الا فى عشرين سنة ولكني لم أظفر الا بخمسة عشر فقط»

«اذا سامت اليوم بأمر طلب مني غيره غدا ومثله بعد ذلك حتى اذا التفت لنفسي وجدت ان عملي انما كان لاخدم به ملك روسيا»

«لقد تعودت استماع أنباء الخطوب حتى أصبحت لا أتأثر بالفادحة حين يتلى عليّ نبؤها وكذلك دأبي فانه مهما يذكر لي من مصايبها ونوازلها لا اهتم له في حينه فاذا انقضت بعد ذلك ساعة من الزمان فهنالك أشعر بوقعها»

«لو انني عدت للحكم مرة أخرى لفعلت كما كنت أفعل أعني انني كنت أنظر الى الامور في مجملها لا في تفاصيلها»

«قد آن لي اليوم ان أمثل دور الملك بعد اذ مثلت دور الجندي زمانا طويلا»

«اني وان أكن أصبحت ملكا لم أنس انني وطني»

وقال لجوزفين

«أريد ان أعيش في هدوء فان لي اهتماما بكثير من الامور غير الحروب ولكن الواجب قد غشي كل شيء حتى لقد

ضحيت راحة بالي ومصلحتي وسعادتي في حياتي كلها للقيام بهذا الواجب»

«ان حربي التي شننتها على روسيا هي التي خذلتني ولكن طريقتي في حكم السلطنة كانت صالحة في الجملة وعندي انني اذا عدت للملك ما تخيرت سواها»

وقال في سنة ١٨١٣

« اني لا موت تحت انقاض عرشي ولا أسلم لهم بسلخ ممتلكات فرنسا منها فالطخ بذلك شرفي بين العالمين »

«ماغاظني سوء طالعي بمثل ما غاظتني أنانية رفقائي في الجيش وقلة شكرانهم»

«اني لأحسد أدنى فلاح في سلطنتي على نصيبه في هذه الحياة فهو اذا بلغ سني يكون قد قام لوطنه بالواجب المفروض عليه ثم عاد الى داره يستمتع بأنس زوجته وأولاده أما أنا فملزم بالعودة الى المعسكر لا كون ضمن من كتب عليهم

القتال الي آخر نسمة. تلك حياتى وذلك هو المقدور الغامض»

وقال فى خطاب الى كولانكورت أيام كان منفيا فى جزيرة البا

«ليس التعود على حياة تقاعد وهدوء بال من الصعوبة بالمكان الذى يظنه الناس ما دام للانسان من نفسه منزع الى ما يجعل وقته نافعا . انى أنفق أكثر أوقاتى فى الدرس واذا خرجت متعت عيني مدة برؤية جنود معيتى الابطال. هنا تظل أفكارى صافية هنية لأنها لاتختلط على الدوام بتذكرات مؤلمة»

وقال أيضاً بعد واقعة واترلو

«سئمت الناس والاشياء على حد سواء ولم يبق لى من شئ أريده الا التمتع بالراحة أما المستقبل فلا أكترث لي به وأما الحياة فاني أحمل عبأها كما هى ، لا أعلق نفسى منها بوهم براق ولا بخيال ساحر ، ان بين جنبي من فرنسا تذكارات تكفيني لذة و الما فيما بقى من أيام حياتى ولكن لا بد ان يرافقها على

الدوام أسف قاتل وحسرة لا دواء لها بسبب ما أصابني في أيامي الاخيرة»

«لقد لبست تاج فرانسا الامبراطوري ولبست تاج ايطاليا الحديدي أما انجلترا فقد ألبستني تاجا أبهج منهما وأفخر. ذلك هو التاج الذي لبسه منجي العالم — تاجا من الشوك. ان العسف والاهانة اللذين ألاقيهما من انجلترا أنما يزيدان في مجدي واعتقد ان أبهي أسباب هـذا المجد انما هو اضطهاد انجلترا لي»

وقال وهو في سنت هيلانه

«لا تخلو المصايب من دلائل المجد والبطولة. لقد كان ينقصني سوء الطالع في حياتي فلو انني مت على العرش يحوطني من القوة جو كثيف الاديم لبقيت سراً يستعصى على الناس فهمه أما الآن فان سوء طالعي كفيل ان يساعد الناس على ابداء رأيهم فيّ من غير حجاب»

«ان مثلي في أوروبا مثل محمد في العرب. لقد وجدت كل

شئ يدعو الى تأسيس سلطنة . نعم كانت أوروبا تئن من الفوضى التى انتشرت فيها وكان الناس يودون أن تبطل هذه الفوضي فاني لم أكن قد أتيت لها فربما جاء غيري وربما انتهى الامر يومئذ بفرنسا الى امتلاك العالم جميعا واكرر هنا القول بان الرجل انما هو رجل فقط فلا عبرة بقوته اذا لم تساعده الظروف والعاطفة العامة . أنظن ان لوثير هو الذى أحدث عهد الاصلاح؟ كلا بل هو الرأى العام كان ضد البابوات. أو تظن ان هنرى الثامن هو الذى خاصم الكنيسة في روما . كلا بل هو الشعور العام شعور أمته قد أراد هذا الانفصال »

«ما جعلت يوما للحياة عندى اهتماما كبيراً . ما كنت لا حاول – ولم أحاول — ان أزحزح قدمى فراراً من الموت»

«لو انني مت في موسكو لتركت من ورائى سمعة ليس لها مثيل في التاريخ شهرة الفاتح العظيم . فليت رصاصة اخترقت كبدى فنضت على حياتى هناك ولو انى مت فى بوريدين لمت ميتة الاسكندر ولو قتلت في واترلو لكان موتا صالحا

أبل ربما كان موتي في دريسدن أصلح منه . كلا . بل اراه صلح في واترلو. هنالك كنت أموت على شيئين حب امتي لى واسفها على »

الفصل الثاني

الحياة المنزلية والحب والنساء

«مهما تفعل الأم فلا حق لولدها فى تأنيبها»

وقال من خطاب الى جوزفين

«وصلني خطابك الذى تؤنبني فيه على سوء رأيي في النساء أما الحقيقة التي لا مراء فيها فهي اني أكره ربات الدسائس منهن. ذلك باني لم اعتد الا رؤية السيدات الطيبات الرقيقات المؤاسيات، أولئك احبهن فاذا كن قد افعمنني فذلك من خطائك لا خطائي ولكن مهما يكن من الامر فانك تشهدين انني سرت سيرة الكرم والتسامح مع امرأة عاقلة لبيبة جديرة

بذلك. تلك هي مدام دي هاتزفلد فاني لما أريتها خطاب زوجها أسبلت دموعها وصاحت صيحة الاخلاص والحزن وهي تقول « بلى ذلك خطه بعينه » وقد كفاني منها ذلك . أجل لقد بلغ قولها مني صميم الفؤاد فقلت لها عندئذ « ايتها السيدة ألقي هذا الخطاب في النار تسقط كل حجة على زوجك » ففعلت وعادت اليها سعادتها ، وها هو زوجها الآن في أمان ولو انقضت قبل ذلك ساعتان لكان اليوم ميتا . من ذلك ترين انني أحب من النساء من كانت على شاكلة النساء بساطة ومودة ودعة لانها يومئذ تشابهك وتماثلك »

« لست أرى ضرورة لا تعاب أنفسنا بوضع مشروع لتعليم الفتيات فانه لا تربية خير من تربية أمهاتهن لهن أما التعليم العام فلا يوافقهن لأنه لا يطلب منهن ان يعملن عملا بين الناس . ان تربيتهن على الاخلاق الفاضلة هو الكل في الكل . اما هن فلا يتطلعن لشيء غير الزواج »

سألت مدام دوستيل نابليون مرة أي النساء أعظم قال « أكثرهن ولدا »

«المرأة الجميلة تسر العين ولكن المرأة الصالحة تسر القلب أولاهما جوهرة والاخرى كنز»

«أحر بالمحبة ان تكون مسرة لا مساءة»

«ان الحب شغلة الخلي الكسول وضيعة المحارب ومهبط الملك»

«المحبة الصادقة هي السعادة التامة»

«لا تتم السعادة في البيوت حتى يلين احد الطرفين للآخر»

«ان الزوج الذى يرضي لنفسه ان تقوده امرأته قليل الاعتبار فى نظري»

«لم أجد أقوى من الضعف يشعر ان له من القوة حمى. ذلك دأب المرأة في كل حين»

«اذا تملك الانسان الحب تملكه الضعف»

«الحب جهالة وجنون»

«اعتقد ان الحب مضر بالمجتمع وقاض على سعادة الفرد لذلك أرى ضرره أكثر من نفعه»

«لا تستطيع النساء جميعها ان تضيع عليّ من زمانى ساعة»

«عندى من الامور غير الحب ما أفكر فيه. انه لا يستطيع رجل ان يبلغ فى الحب غاية حتى يضيع عليه كثير من المجد. لقد رسمت لنفسى خطتها فاقسم لا نستطيع أسحر عين ولا أفتر طرف، أن تحولني عنها قيد شعرة»

«لا أظن ان قلوبنا تستطيع ان تحب اثنين فى آن واحد انا لنخدع أنفسنا اذا حسبنا اننا نحب شيئين حبا شرعاً»

«لقد ملكت القلوب كما ملكت الاقطار»

«ليست فرانسا فى حاجة الى ما يعيد من شأنها أكثر من حاجتها الى أمهات صالحات»

«ان المبادئ الاولى التي ينالها الانسان من أبويه بل يشربها مع ما يرضعه من ثدى أمه لاثراً فى النفس لا يمحى»

«خير للنساء من تحريك لسانهن ان يشتغلن بالابرة ولا سيما اذا كان تحريك هذا اللسان في الامور السياسية. أرى

الحكومة تضيع اذا أخذت المرأة فى تدبير الشئون العامة انه اذا رأت جوزفين يوما ان هذا الأمر جدير ان تفعله الحكومة دعاني رأيها هذا الى ان أفعل نقيضه على خط مستقيم»

«يجب عليهن ان يعنين بتربية أولادهن وترتيب منازلهن من غير ان يشغلن أنفسهن بأمور ليس لهن بها دخل»

«ليتنى كنت تحادثت مع النساء كثيراً فانهن كن يذكرن الى ما لا يستطيع الرجال ذكره»

« ليس المجتمع في فرنسا شيئاً حتى تكون فيه السيدات انهن روح الحديث وحياة المجالس»

«أهم ما يجب على الرجل اذا كان له بنون ان يربيهم تربية حسنة ولكن اذا حرم الانسان نفسه من الثروة بسببهم فانما يأتى عملا من أعمال الجنون. قد تقتصد وتجمع لهم الثروة والمال ثم لا تلبث حتى ترى حسناء قد ملكت فؤاد ولدك أو سارت به نفخة بوق فاذا المال الذى جمعته لهم قد ضاع فى لمحة عين ألا ان أجدر ما تهتم به فى حياتك ان تعني بشأن نفسك»

عائلة نابليون

عن أمه

«انها الجديرة بكل أنواع الاحترام كانت رأفتها شديدة — وكان جزاؤها عدلا عاقبت أم أثابت . وكانت تنظر الى الامر من جهتيه»

«ان الفضل فيما بلغت وفعلت من عظائم الامور انما هو لمبادئ والدتي وحسن أسوتها »

«رأى امي رأى سليم لا تخطئ فيه أبداً فنصائحها وتجاربها عندى لا تقدر بثمن »

« ان أمي امرأة رشيدة ملئت حكمة وصوابا»

وقال عن مدام دى كولومبي وهي اول من علق بها من النساء

« كنا أطهر مخلوقين وكنا نعقد لتلاقينا اجتماعات قصيرة جميلة اذكر منها انني اجتمعت بها صباح يوم من ايام الصيف وقت السحر فكانت كل سعادتنا فى تلك الساعة إن جلسنا نأكل أثمار الكرز»

چوزفين

«چوزفين أيتها الشريفة انى مدين لك بهنيهات السعادة التي قضيتها في حياتي»

وقال وهو يخاطب چوزفين فى آخر اجتماع بهما

«لقد كنت ياچوزفين سعيداً كاي رجل في هذه الدنيا ولكنني اليوم وقد تكاثفت فوق رأسي سحائب من الهم لا أجد لي سواك الجأ اليه»

وقال وهو يودع چوزفين قبل سفره الى جزيرة البا

«ان سقوطي لعظيم ولكن ربما كان نافعا كما يقول الناس انى سأجعل القلم في عزلتي مكان السيف فاسطر به تاريخ حياتي وسيرى الناس انه عجيب . لم ير العالم مني حتى اليوم الا جانب طلعتي ولسوف أريهم نفسي فى تمامها فكم من أمور خافية سأكشف عنها الغطاء . . . . الوداع ياچوزفين أيتها العزيزة، تجلدى كما أنا متجلد ولا تنسي الذي لم ينسك ولا هو ذو قدرة على نسيه لك . الوداع الوداع ياچوزفين »

وقال بعد تخليه عن الملك فى المرة الثانية

«كل شئ هنا يهيج فى نسى آلام الذكرى،هذه الدار أول شئ ملكته،اقتنيتها بمال حصلته بكدى . لقد كانت دار السعادة كلها . اين التى كانت نور هذا المكان وجوهرته . لقد غلبنى الدهر عليها وقتلتها المصايب التى نزلت بى. ما كنت أظن منذ عشر سنوات انني سأجد فيها يوما من الايام حمى من أعدائي»

« كم موقعة تطلبت نفسى فيها الموت فلم أجده . واليوم لو جاءني لهللت له فرحا واغتباطا . بيد انى أريد ان أرى چوزفين مرة أخرى (١٨١٤) »

«كانت چوزفين مخلصة لى . كانت تحبني حبا ممزوجا بالحنو . لم يكن لانسان غيرى فى قلبها مكانة فوق مكانتى. نزلت منه أعلى منزل ونزل أولادها بعد ذلك . على أنها كانت محقة فى كل حبها لى لانهـا هى المخلوق الذى أحببته أعظم الحب حتى لتزال ذكراها مجـددة فى فؤادي عاملة في قلبي. كانت

چوزفين ظرفا مجسما وكان كل شيء تعمله يدل على هذا الظرف. لم أرها مدة عشرتى معها قد عملت شيئاً بغير تلطف ولا رشاقة كانت تجعل هندامها كاملا وتخفى مظهر العمر بحسن ذوقها فى التجميل»

مارى لويس

«كان حكم ماري لويس قصير الأمد ولكنها نعمت به لان العالم كله كان تحت أقدامها»

«انى اذا أفقدت الامبراطورة لا أتزوج»

المقارنة بين چوزفين ومارى لويز

«كانت الاولى الرقة والفن وكانت الاخرى الطهارة والبساطة لم أر من تلك فى أى وقت من أوقاتها الا الجميل الساحر حتى لا يستطيع الانسان ان يرى عليها غبرة يؤاخذها عليها. كانت اذا طالعت طالعت لتسر وتبهج واذا حاولت أمرا بلغته من غير ان يبدو لاحد أنها تحاول هذا الامر. وكان كل ما احتوته الفنون من دواعى لفت الانظار آلة فى يده تستفيد منه

ولكن كان كل ذلك خفيا لا يكاد يلمسه النظر الا توهما

أما الثانية فلم تكن تتصور ان في الوجود أمرا ينال بالحيلة. كانت جوزفين قريبة من الحق دائما سريعة الى النفي في البوادر أما ماري فكانت لا تعرف التصنع ولا الرياء. لا تعرف من الامور مختلط السبل

لم تطلب الاولى شيئا ولكنها كانت مدينة هنا وهنالك وكانت الثانية لا تتردد في الطلب اذا هي أنفقت كل ما في يدها على ان ذلك لم يكن الا نادرا. لم تأخذ شيئا الا وشعرت بضرورة مقابلته بالجميل في حينه. كلتاهما طيبة القلب حلوة الشمائل مخلصة لزوجها ومحبة»

«اظن أني وان أكن أحببت ماري لويز باخلاص قد أحببت جوزفين أكثر منها. ذلك امر طبيعي فقد نشأت معها وكانت لي بعد ذلك زوجة صالحة بل هي الزوجة التي اخترتها. . . .

كانت ماري من الاخلاص بقدر ما كانت جوزفين من السياسة كانت جوزفين تبدأ القول بالنفي حتى يكون لها من ورائه ذلك متسع من الوقت للتفكير والنظر ثم كانت تستدين



چوزفین

كثيراً وتحملنى سداد هذه الديون. كانت لها فى كل شهر حلفة على أن تقتصد . وهناك تنق علىّ ما كان يجمّ فى فؤادها . كانت باريسية بالمعنى الصحيح . ما كنت لا فارقها لو أنها ولدت لى ولدا ولكن بذلك قضى سوء الحظ »

وقال لمنثلون فى صباح اليوم السادس والعشرين من شهر ابريل سنة ١٨٢١ وهو في سكرات الموت بعد موت چوزفين بسبع سنوات تقريبا

« قد رايت چوزفين يامنثلون فعانقتنى ثم اختفت فجأة حين اردت ان اعانقها . كانت جالسة على ذلك المقعد وكأني رأيتها امس مساء لم تتغير بل كانت كما هى شديدة الميل الىّ. قالت لى انا على وشك ان نجتمع ويرى بعضنا بعضا ثم لن نفترق بعد ذلك. ولقد اكّدت لى ذلك — الم ترها يامنثلون

«اذا بلغ الرجل من العمر خمسين سنة فيندر أن يتملكه الحب . لقد كان برثير يستطيع ذلك اما انا فلا استطيعه لقد

محجة قلبي بل هو اليوم أشبه بالنحاس . لم اكن يوما من الايام عاشقاء الاهم الا لجوزفين على انه كان عشقا قليلا . اني كنت في سن السابعة والعشرين يوم عرفتها اماماري لويز فلم يكن حبي لها الا ودادا أخلصه لها على اني ربما كنت من راى جاسيون اذ يقول ان الحياة ليست من القيمة بحيث يصح ان يهبها الانسان لأنسان »

ملك روما

« ولدي احب شيء الي في العالم بعد فرانسا »

«ما أثقل صولجان الملك في يد ولدي من بعدي »

« واحسرتاه لولدي ! اي شقاء اتركه له من بعدي . واحسرتاه على طفل يولد ملكا ثم لا يجد الآن لنفسه وطنا »

« لو ولدت لي جوزفين ولدا لجعلني هذا الولد سعيداً وحفظ في نفسه اسرتي — ولكان الفرنسيون احبوه اكثر مما يحبون ولداً من ماري لويز ولم تكن قادتني قدمي

الى السقوط فى تلك الوهدة التي غطاها بساط من الزهور تلك الوهدة التى جلبت علىّ الدمار كله. فلا يعتد انسان بعد اليوم بحسن تدبيره ولا يعجل لسانه بالحكم على الحياة فى سعدها وبؤسها قبل أن ينقضى امد هذه الحياة ....
بيد أن جوزفين كانت تعلم انه لا زواج بلا نتاج »

الفصل الثالث

فى الحياة

« الحياة التى لا فائدة فيها حمل ثقيل »

« ما الحياة الا حلم زائل »

« يجب أن نشغل أنفسنا ، فان الشغل كالسيف يقطع الوقت بل لا بد للانسان أن يتم ما قدر له . فالله قدرنى على اتمامه »

« ما الحياة الا أن يعيش صاحبها فى آلام ، والحر من جاهد في سبيلها حتى يغلبها »

«ليس بين النصر والخذلان الا خطوة واحدة»

« الناس من خوف الهزيمة يهزمون »

«من ولىّ الامر وجب عليه حمل عبئه »

«يجب أن ننظر الى الامور كما هي لا كما نشتهى لها أن تكون»

« ما أشقي الانسان انه ليرى الطبيعة ثم لا يستطيع ان يغلبها»

« لا يصيبن امرؤ اذى وهو يريد لنفسه الموت»

«يحتاج المرء الى شجاعة يقتبل بها الهموم والالام أكثر منها لا قتبال الموت»

« اذا شاء القدر وجب الاذعان»

السعادة

الناس فى السعادة سواء . فلو انني بقيت أدعى مسيو

بونابرت ما نقصت سعادتي عنها وقد أصبحت أدعي الامبراطور نابليون . ولا شك ان الفعلة هم كغيرهم من الناس في السعادة . اني لم أكن أجد لذة في حسن الطعام لان مائدتي كانت جيدة الطهي على الدوام ولكن الفقير الذى لم يذق مرة طعاما كطعامي ينعم بأكله يوم يقدم اليه الحساء يشربه ولحم البط يطعمه بل أني أوقن أن حياته خير من حياتنا فى هذه الجزيرة »

« اني ليعجبني ذلك الرجل الذي قيل انه وضع ما له جميعه في صندوق ثم انفق منه كل يوم قدرا معلوما . ان الضرورة قاضية بذلك حتى يقصر الانسان من رغباته »

«لقد كنت سعيداً يوم أصبحت أول القناصل ويوم تزوجت ويوم ولد لي ملك روما، ولكنني لم أكن يومئذ واثقا من دوام مركزي بل ربما كان اسعد أيامي يوم تلسيت، يوم هذبت صروف الدهر وبيضت سود الليالي، يوم كان النصر من يميني والمجد من شمالي، ورأيتني امنن القوانين للناس ورأيت البراطرة في ركابي . بل ربما كن أسعد أوقاتي أيام فزت بالنصر في ايطاليا

هنالك كانت الجموع لاهجة بذكرى متحمسة : هنالك كانوا يصيحون من أعماق قلوبهم « ألا فليحي محرر ايطاليا » كل ذلك رأيا فتى لم أعد الخامسة والعشرين من العمر

منذ تلك البرهة تمثل لنفسي ما صرت اليه في مستقبل الايام . رأيت العالم جميعه يمر من تحتي كانما قد ولدت في الهواء »

« اني أوقن ان بين اواسط الناس سعادة تفوق سعادة اعاليهم »

« لا بد للانسان من يوم يسأم فيه كل الامور فكثرة المال عن الحاجة لا تؤثر في تلك الحال . كان للبرنس اويز دخل قدرة ٢٠٠٫٠٠٠ من الفرنكات ينفق منها ١٥٠٫٠٠٠ في وجوه البر والاحسان أفلا ترون حياته شريفة سامية »

« اني اكرر القول بان المال والالقاب لا تجعل الانسان سعيداً »

وقال يخاطب احد المديرين بعد عودته من روسيا في سنة ١٨١٢ ، « ... وانت أيضاً أيها المدير لقد صادفت يوم شدتك ومحنتك . الا انه لا تخلو حياة امرئ من هذه الايام

«ما غرنى الاقبال يوما ولا الفتنى المصايب الا قادراً عليها أردضرباتها بعزم شديد. لقد فكرت فى مشروعات لخير العالم ثم أخرجت هذا المشروعات ولقد علمت في حالتى الوالدية والملك ان السلام من عماد الملك ودعائم العائلات»

هل تزعمون أو يزعم أحد منكم أن الامور تأتى دائما وفاق مرامنا وانها تدبر ذاتها حتى تضمن لنا السعادة كلها؟ اذا هى قلبت لنا ظهر المجن ورزحنا تحت أثقالها فهنالك يتطلب الانسان انسانا يشكو اليه بثه وحزنه ولكن أين يودع الانسان سره اذا هو قلب عينه فلم يجد أمامه ذلك الصديق المرتجى»

«تتوقف جلائل الامور على صغائرها، والحازم من استفاد من كل أمر ولم يهمل ما يستطيع به أن يكثر من سوانح فرصه وقليل الحزم من قد تعرض له فرصة فلا ينتهزها فيعاجله الدمار والخسران»

«من الحوادث ما يبدو لك صغيراً وفى لفائفه عظائم الامور»

«قد يغفر الموت للانسان زلته ولكنه لا يصلح هذه الزلة»

«الفكر يحكم العالم»

«التسامح روح السعادة فى الامة الرشيدة»

«الكريم من لم يعاد من الناس أحداً»

«ليست العظمة بالشئ المذكور حتى تكون دائمة»

«ما المودة الا اسم. انى أعلم أن ليس لى صديق واحد ولكنى مادمت كذلك نشأ حولى من أدعياء مودتى خلق كثير»

«كلمة مستحيل ليست فى اللغة الفرنسية . انى لا أعرف هذه الكلمة»

«فلاح المجازفين فى المصادفة»

«الاستقلال كالشرف كلاهما كالجزيرة ذات الصخور ليس لها شاطئ»

«اياك والكراهية»

«اذا جلست مجلس القضاء فاستمع حكاية المتقاضين وتمهل فى الحكم حتى يجد العقل صراطه المستقيم»

«عدو مبين خير من حليف مريب»

«من الريب ما لا تقوى عليه براءة البرىء»

«الحياة سر غامض في مبدأها ومسراها ومنتهاها سواء فى الناس أم غير الناس أم فى الطبيعة أم فى أى شئ»

«ان قبضتى — وكانت من الحديد — لم تكن فى مقدم ذراعى. بل كانت من فؤادى قاب قوسين أو أدنى»

«أسرع الناس مشياً من سار وحده»

«المستحيل — كلمة لا يعثر عليها الا فى قواميس المجانين»

«أريد من عقلى مزيداً وفى لسانى قصراً»

«وكتب الى المارشال بسبيرسنة ١٨٠٩، اذا فعلت فافعل على عجل وشدة، لا يعترضك شرط، ولا تعليل، ولا استدراك»

«الكذب زائل والصدق دائم»

«حكم الخديعة قصير الامد»

«انك الآن يالاكاس هائج الدم ثائر النفس ولا أظن أن فى الامور أمراً تستطيع احسان فعله فى مثل هذه الظروف فأجدر بك أن لا تبدأ فيه حتى تمر بك ليلة كاملة»

«الليل ناصح امين»

«حقيقة وظيفة الانسان فلاحة الارض»

«أريد أن أعيش فى القرى أريد ان أرى الارض يصلحها الناس لانى لا أعرف من فن زراعة الجنان ما أستطيع به اصلاحها . ان هذا لأشرف أنواع الحياة»

الفصل الرابع

آراء في الرجال

«لا تيكون الرجال باللعب والرقص»

«لا يظفر المقامر بثقتي واني لأ نزع ثقتي بامرئ عند أول علمي بانه مولع بالقمار»

«ليس في قدرتي خلق الرجال فلا بد لي اذن ان استفيد ممن أجد»

«اني لتدهشني سلطة الالفاظ على الرجال»

« كنت أيام سعادتي أحسبني أعرف الرجال ولكن لم أكن أدرى ان عرفاني بهم على حقيقتهم انما كان في أيام محنتي »

«أتدري ما حمله أثقل على النفس من تقلبات الخطوط الا انه هو دناءة الرجال وفظاعة جحودهم ... ألا انما الموت راحة»

وقال بعد واقعة واترلو

«ان آخر اختباري للبشر قد نفى عني تلك الاوهام التي من دأبها أن تقضي على همامة الملوك . لم يبق لي في الوطنية ثقة، فقد علمت انها لفظ فارغ، يعبر عن فكرة فاضلة: ان حب الانسان وطنه انما هو حب لذاته ومركزه ومصلحته»

ضعف الطبيعة البشرية

قال نابليون لبطانته في سنت هيلانة

« انكم لا تعرفون الرجال بل يصعب على الناس فهم الرجال . هل يستطيعون فهم طبائع أنفسهم أو الابانة عنها ان أغلب الذين هجروني لم يكونوا ليعرفوا مكان النقص في نفوسهم لو انني ظللت كما كنت في اقبال ... ان من الفضائل والرذائل ما يتوقف على الظروف »

«ان محنتي الاخيرة كانت فوق مقدور الرجال ولكني أوقن ان رفقتي هجروني لا خيانة منهم لعهدي بل صدا

أجل فان ما رأيت لم يكن الا من ضعف فى نفوسهم لا خيانة وهل تجد فى صحائف التاريخ رجلا كان له من الاصدقاء والمتشيعين مالى؟ أو كان محبوبا فى قلوب الناس مثلى؟ أو كان محزونا عليه حزنهم على؟ الا انه لا يثبك امرؤ انى وان أكن فوق هذه الصخرة النائية، أطلى بدين الوهم على فرانسا، كأنما لا أزال أحكم فى تلك الربوع كما ان الملوك والامراء الذين عاهدونى قد حفظوا عهدهم الى النهاية ولكنهم ذهبوا فى تدافع الشعوب وأولئك الذين كانوا حولى قد غشيتهم ريح صرصر صرعتهم فهم لا يتحركون»

«ان الماليين وأصحاب المصارف نافعون احيانا بمالهم من الخبرة بالامور»

وقال، وهو فى سنت «يلانه»

«ليس لي فى الطب ثقة. ان دوائى اذا أنا مرضت الصوم والاستحمام بالماء الساخن. على انى أكبر صناعة الطب وأخص الجراحة بالاجلال دون غيرها أما المحاماة فمحنة ثقيلة على

الانسان، وهو ضعيف، والرجل الذى يعود نفسه مناهضة الحق ويهيج لغلبة الشيء على العدل لا يستطيع ان يميز بين الحق والباطل وكذلك دأب السياسة يحتم على رجلها ان يكون قلبه قلب الجمع أما رجال الدين فأولئك مدفوعون الى الرياء لكثرة ما تطلب الناس منهم. اما الجنود فهم سفاكو دماء ولصوص ولكن الجراحين يخدمون الجنس البشرى فلاهم يفنونه ولا هم يحرضونه بعضه على بعض»

«ان عظماء الخطباء الذين يملكون قلوب المجتمعات التي يخطبون فيها هم فى الحقيقة من أواسط السياسيين موهبة. لا ينبغى أن يعارضوا بمثل أقوالهم. لأنهم أقدر منك على تسفية الفاظ كثيرة اللغط والضجيج فى وجه المعارضين. بل الواجب اذا أريد محاجتهم ان يكون الكلام جديًّا مؤسسًا على القضايا المنطقية. انما يعتمد أولئك الخطباء على السفسطة فمن أراد مناقشتهم فليردهم الى الحقائق الثابتة وذلك لا يتسنى الا بالبرهان المنطقي السديد. لقد كان معي في المجلس رجال أفصح

مني لسانا وأوضح بيانا ولكني كنت ألزمهم الحجة كما لو
كنت أقول ان اثنين واثنين أربعة»

محمد

«جاء محمد في يوم كانت النفوس متطلعة فيه الى عبادة
واحد أحد وكانت بلاد العرب قد غشيتها الحروب الداخلية
أمداً طويلا حتى تعود الناس الشجاعة والاقدام ... على انه
لم تظهر بطوله محمد الا بعد غزوة بدر ....

ان الانسان لا يمكنه أن يبلغ فوق انسانيته شيئاً ولكنه
مع ذلك قد يأتي بالجليل من الامور ويقوم بالعظيم من الاعمال
ثم قد يكون كالشرارة طارت في هشيم

لا أظن أن محمداً كان يستطيع أن يبلغ في العرب ما بلغ
لو أنه كان بينهم في هذه الايام (١٨١٧) ولكن دينه قد
استطاع في عشر سنوات أن يمتلك نصف العالم المعروف في
حين أن دين المسيح لم يثبت له أساس الا في ثلاثة قرون

أجل فان دين المسيح لا يوافق الشرقيين لانهم يريدون

أن يكون دينهم أبين حداً وأدق قصداً ثم لا يريدون ان يكون هذا الدين مفعما بالروحانيات »

واشنجتون

«لما ملكت ناصية الحكومة فى فرانسا كان الناس يرجون أن اكون شبيهاً بواشنجتون اللفظ لا قيمة له ، لذلك فهم يتكلمون. ولكنهم لم يتدبروا الزمان ولا المكان ولا الرجال ولا الامور

لو أنني كنت فى أمريكا لكنت واشنجتون ذاته دون أن يكون لي فى ذلك فضل لاني لا أري كيف كنت أفعل غيرهذا ولكن لو كان واشنجتون فى فرانسا حيث الاختلال من الداخل والنحفز للغزو من الخارج لاستخففت به اذا هو هم بمثل ماتم له في أمريكا. أجل لو أنه حاول ذلك لعددته معتوها لاعتقادى انه ما كان يزيد من الشرور المقيمة فى فرانسا الا فظائع أما أنا فقد كنت أستطيع أن اكون واشنجتون ثم أكون فوق ذلك صاحب تاج

انى لم أصبح ملكا الا بعد ان أقرني مؤتمر من الملوك

والامراء بعضهم خاضع لي من تلقاء نفسه وبعضهم مقهور هنالك استطعت وحدى ان أبدو للناس في اعتدال واشنجتون وبعده عن المصلحة الذاتية وفي حكمته على أني لم أكن أستطيع أن ابلغ هذه المنزلة الا لما كانت لي الرياسة العامة ذلك ما أملته فهل كنت في ذلك جانياً»

الفصل الخامس

الصفات القومية

الانجليز

«ما الانكليز الا تجار ، كل مجدهم في ثروتهم»

« انظر الى الانجليز انهم غلبونا ولكنهم أدنى من ان يطاولونا »

«أرى ان نسبة عدد أشراف الرجال من انجلترا تفوق مثلها في أى قطر من أقطار العالم ولكن فيها في هم شر العباد فهم في ذلك على طرفي نقيض»

«لا ينبغى ان تذكر اسم الثورة للانجليزى لانها تخيف الناس فى بلاده حيث لم يبق لحزب الشعب حياة . على أن النار لم تنطفئ بعد لكثرة ما فيها من الشرار »

فرنسا والفرنسيون

«صغائر الامور فى فرنسا عظيمة ولا قيمة للعقل فيها»

«الرأي فى فرنسا هو الكل فى الكل ولكنه يدور حول الصغائر »

«لا تعرف الامة الفرنسية كيف تحتمل المصايب . هذه الامة التى بذت الامم جميعها شجاعة وذكاء لا تعرف الثبات فى شئ الا في أن تهب الى مواقع القتال . والهزيمة تفسد أخلاقهم»

«ليس فى الامة الفرنسية ذاتها من صفة الا وهي متحولة زائلة . كل ما تفعله انما هو للعاجل من المطالب وطوعا لهوى النفس وأوهامها — وليس فيما يفعلون شئ يراد به الدوام والاستمرار . ذلك دأبنا تؤيده أخلاقنا في فرانسا. يقضي

الانسان حياته يبرم وينقض ولا يبقى من عمله بعد ذلك شيء

«الفرنسيون قوم يعشقون الفخر الكاذب. يحبون العجب أكثر من حبهم للخبز»

« الفرنسيون أرق العالم عقلا »

«لقد كنت أحلم كثيراً بأمور عظيمة أريدها لفرنسا ولكن الدهر عكس آمالى . قد كان اتحادهم لازما ولكنهم أبونى آه — لو انى حكمت فرانسا أربعين سنة لجعلتها أعظم سلطنة فى العالم »

«وددت لو ان لقب فرنسى كان أعظم شيء يرغب فيه على سطح هذه الكرة . ووددت لو أن يسمى الشعب الفرنسى بحق «بالامة العظيمة» وان يكون مثالا للرشد وجلال العقل»

البولانديون

انى أحب أهل بولاندا لان حماستهم تلذ لى . وانى لأتمنى ان أجعلهم أمة مستقلة ونكن لا أري السبيل لذلك

هينا. فلقد تناهبتها أمم كثيرة فالروس من جهة والنمساويون من جهة والالمان من جهة، تقسموها كأنما هي كعكة فى أيديهم فضلا عن أنه اذا أشعل عود الثقاب فلا يدرى أين تنتهى النار. ان أول ما علىّ من الواجبات انما هو لفرانسا ولا ينبغى لى أن أضحى مصلحتها فى سبيل مصلحة بولندا . . . فلنكل الامر اذن للدهر فهو مصرف الامور والحاكم الاعلى وكفيل أن يهدينا الى صراط العمل »

الروسيا

«ان الروسيا سائرة فى سبيل تحصيل المجد الذى لا يدانى بعد اذ ذهبت فرانسا وتحطم ميزان القوة بين الدول »

« الروسيا سائرة فى سبيل التغلب على العالم . ان المتتبع سير الحوادث يستطيع أن يبصر غايتها . ان التقدم الذى أمعنت فيه منذ عهد بول الاول تقدم تملك النفس من العجب»

« يحسن بالروسيا أن تتحد دائما مع فرانسا »

«بلاد الروسيا فى موقع يساعدها على امتلاك العالم»

الفصل السادس

سياسيات

«الحكومة ! قد كنت انا الحكومة»

«من ذا يتبوأ مكان الله فى الارض الا الشارعون»

وقال فى خطاب ألقاه على حكومة المديرين بعد عودته من الحملة الايطالية سنة ١٧٩٧ «لكى يمكن الحصول على دستور مؤسس على قواعد العقل يجب أن تمحى اعتسافات ثمانية عشر قرنا سلفت»

«لا تخطى العقبات ولا تبلغ الغايات، الا بالعقل والحكمة وحصافة الرأى»

ان السياسة الحكمية هى فى الاعتماد على التدبير والحكمة فى معالجة الامور ، فان نحن جعلناها أساسا لأعمالنا حفظنا

لأ تنسنا لقب «الامة العظيمة» الذي استبحناه، ولبقى لنا مجلس الحكم فى أوروبا»

«كان كل همى ان أحقق مبدئى وهو «كل شئ للشعب الفرنسى»

«كل ما أريده وما أرغب فيه وما أشتهيه وكل جهدى هو فى أن يبقى اسمى مقترناً باسم فرانسا»

«لا ينبغى أن تحكم الظروف السياسية، بل يجدر أن تحكم السياسة هذه الظروف»

«يجب أن يكون نظام الحكومة طبقاً لروح الامة»

«تسيّر الحكومات بالحكمة والسياسة لا بالضعف ولا الخشونة»

«ان أخذ الامر بالوسيلة الناقصة مفسد هذا الامر وجاعل الغلبة على العدو مستحيلة . ان السياسة والشعور لا يتفقان»

«يجب أن تكون شريعة الحكومة وعملها سواء مع الناس جميعاً ويجب أن تمنح الرتب والالقاب لمن كان في أعين الناس جميعاً مستحقاً لهذه الالقاب»

«إن سياستي هي في أن أحكم الرجال كما يحب أكثر هؤلاء أن يحكموا»

«لا ينبغي لأمة أن تفعل شيئاً ينافي شرعة الفضيلة: فانها اذا لم تفعل ذلك كانت جديرة أن تفنى»

طبقة الارستوقراطية أو الاشراف هي عماد الملوكية. والحكومة بغيرها كالسفينة بلا دفة أو كالمنطاد في الهواء على أن الارستوقراطية الحقيقية هي ما كان فرعها قديماً فان لها من هذا القدم قوة وسحراً وذلك ما لم أستطع أن أحدثه في فرانسا: أما الديموقراطية الصحيحة فلن تستطيع ان تطمع الى شيء فوق البلوغ الى المعالي اسوة بسواها والسياسة الحكيمة في هذا الزمان انما هي في استخدام بقايا الارستوقراطية باسم الديموقراطية وروحها على أنه كان ضروريا أن نستفيد من

الاسماء التاريخيــة القديمة. هذا هو السبيل الوحيدة التي استطعنا بها أن نرى نور القديم على الجديد

ان فكرتي في هذا الصــدد كانت قد تأسست ولكن لم يكن عنــدي متسع من الوقت لابرازها: كانت هكذا: كل من جاء من نسل مارشال أو وزير له حق أن تسميه الحكومة « دوق » اذا أثبت أنه يملك الثروة الواجبة وكل من كان من نسل قائد أو مدير من حكام الاقليم يسمى « كونت » اذا أثبت هذا أيضاً انه ذو ثروة مناسبة

لقد كانت هذه الطريقة ترقي فرقا من الناس وتحيي امال فريق وتحدث التبارى بين الناس دون أن يكون من ورائها مضرة لاحد»

«الامم القديمة المفسدة لا يمكن أن تحكم بنفس المبادىء التي تحكم بها أمة طاهرة ذات فضيلة فاذا وجد من يضحي نفسه في هذه الايام في سبيل المصلحة العامة وجد ألوف وملايين لا تحكمهم الا مصالحهم الخاصة وصلفهم ومسراتهم وعندي أن محاولة اصلاح مثل هذه الامة في يوم واحــد ضرب من

ضروب الجنون. وحقيقة ذكاء العامل تنحصر فى استعمال المواد التى بين أيديه استعمالا يخرجها به الى المنفعة الحقيقية ويستخرج به الخير من العناصر، وان بدت فى أول أمرها دون ما يستطيع. هذا سر خلق الالقاب والاوسمة. على أن هذه اللعب يصحبها فى العادة قليل من النصب، ولكنها مفيدة على كل حال فهى فى الحالة المدنية التى نحن فيها انما تستدعى احترام الجمهور كما انها فى ذاتها تحدث في صاحبها نوعا من الاحترام الذاتى. ان هذه الاوسمة والرتب ترضى الضعيف فى صلفه دون ان يتأذى منها القوى»

«كيف يدعى انسان ان هذه الاسماء الفارغة والالقاب التى تعطى، خدمة لمبدأ سياسى تغير من علاقة الشخص باحد أقاربه أو أصحابه»

لم يبق ممن يفعل الخير ويؤدى واجبه الا جنودى المساكين وضباطهم الذين ليسوا من الامراء ولا الدوقات ولا الكونتات. انه قول مر ولكنه صدق. أبعدوا عنى أولئك

السادة الاشراف أشراف الى فراشهم يناءون عليها والى قصورهم يمرحون فيها فى سئمتهم ووجب الخلاص منهم . انى أريد ابتدأ الحرب من جديد بفتية ملأ الشباب قلوبهم بأسا وأشدتهم شجاعة »

فوز المدنية

«الرذيلة فردية دائما ولا تكون فى المجموع الا نادراً. أنظر الى يوسف واخوته فانهم لم يستطيعوا جمع أمرهم على ان يقتلوه وانظر الى « جودا » المرائى الشرير فقد خان سيده: قال أحد الفلاسفة ان الانسان ولد شريراً وعندى انه يصعب على المرء ان يحاول التثبت من صحة هذا القول. ولكن لا شك فى ان أكثر افراد المجتمع ليسوا أشراراً، لانه اذا كانت الاغلبية منهم من الجناة الذين لا يرعون حرمة القوانين لم يبق من الناس من له القوة على ردتهم . وفى ذلك نصرة المدنية لان هذه النتيجة المرضية لم تنشأ الا فى تربتها ولم تترب الا على فضلها»

« العاطفة ان حققت أمر ورائى وانما تبينها لاننا رأيناها.
فيمن تقدمونا وكذلك ينشأ العقل الانسانى وتنمو المدارك .
وفيها مفتاح هـذا النظام الاجتماعى وسر الشارع فاما الذين
يريدون ان يحكموا الشعوب لمصلحتهم الذاتية فأولئك يعملون
على ان تبقى فى جهالة لانهم كلما ازدادوا استنارة ازدادوا يقينا بفضل
القوانين وضرورة المحافظة عليها وهنالك يسير المجتمع ثابتا
سعيداً . هذا ولن يكون العلم فى الجماعة خطراً الا اذا كانت
الحكومة معارضة للشعب ومصلحته . فهى بذلك تدفعهم الى
تلبس حالة ليست طبيعية أو تقضى للطبقات السفلى بالفناء من
الحاجة . هنا يدعو العلم ذلك الشعب الى الدفاع عن نفسه أو
يسوقه الى اقتراف الجناية»

« مصر هى البلد التى يظهر للناس انها صاحبة أقدم مدنية
على ان الغال والمانيا وايطاليا ليست بعيدة عنها فى ذلك بعداً
كبيراً . وأظن أن الجنس البشري جاء من الهند والصين
التى كان فيها من البشر ما لا يعد . لا مصر التى لم يكن فيها
الا بضعة آلاف من السكان . كل ذلك يقودنى الى الظن بأن

العالم ليس قديما جداً اذا نحن نظرنا الى التاريخ الذى بدأ فيه ظهور الانسان فى العالم بل أرى أن عمر العالم الانسانى لا يزيد عما جاء فى الكتب المقدسة الا ألفا أو ألفين من السنين

انى أرى ان الانسان انما نشأ من تأثير حرارة الشمس فى طين الارض. قال هيرودوتس ان طينة النيل فى أيامه كانت تتحول الى فيران وانه كان يمكن رؤية هذه الفيران في دور التكوين »

« من ملك مصر ملك الهند »

قانون نابليون

« لقد كان القانون الذى وضعته خيراً لفرنسا من مجموعة القوانين التى سبقته وذلك نظرا لما ركب عليه من السهولة — ان مدارسى ونظام التعليم الذى وضعته آخذة فى تهيئة نشأة جديدة لم تبصرها العين بعد »

« ان الحصافة وحسن التدبير فى السياسة خير من الخديعة. أجل فأن الدولاب الذي كان يديره سواس العهد الماضى قد أصبح لا يليق بهذا الزمان. على انى لا

أدرى لماذا نرجع الى الخديعة اذا كان فى استطاعة الانسان ان يتكلم بصراحة وجد. ان الرياء والمداجاة من دلائل الضعف»

التربية

«انى أريد فئة من المعلمين ذات كيان خاص. لأن هذه الفئة لا تموت حتى تنقل الى غيرها نظامها وروحها — أريد فئة يكون تدريسها أبعد من ان يتأثر بالظروف وما قد يكون فيها من مذاهب سخيفة، فئة تسير الى غرضها ساهرة وان نامت الحكومة، تتأصل مبادئها ونظامها فيها حتى تصبح أهلية ثابتة لا يستطيع أحد أن يمسها .... لا يمكن ان تكون السياسة ثابتة مالم يكن التعليم ثابت المبدأ فانه ما دام الناس لا يعرفون ما اذا كان لا بد لهم ان ينشأوا جمهورين أو كاثوليكيين أو ملحدين فلن تستطيع الحكومة ان توجد أمة بل يظل عرشها على أساس غير مأمون الدعامة عرضة للفوضى واختلال النظام»

«مما يحزن له فى هذا البلد ان الشاب الذى يريد ان يحصل العلم لا بد له ان يتخبط فى الظلمات زمانا طويلا ويضيع من أيامه سنوات يبحث فيها عن ضالته حتى يجد مورد العلم

الحقيق الذي ينشده ... انى أريد هـذه الموارد . لقد شغلت بالى كثيراً . وذلك لانى كنت أشعر بالحاجة اليها عندما كنت أهم بأمر من الامور أو عمل من الاعمال »

« ان النصر الحقيقى الذى لا يعقبه ندم انما هو النصر على الجهل . كما ان أشرف منهج تنتهجه الامم وأجدى عمل تعمله الشعوب انما هو توسيع نطاق العقول »

« لا يملك الناس الا بفضل العقل وقوة الحجى »

« لقد كان من أهم أغراضي ان أجعل العلم قريبا من كل متناول . لقد عملت على أن الا يتأسس معهد الا على مبدأ التعليم المجان . وان طلب شئ فلا يكون الا بحيث يستطيعه الفلاح وكانت المتاحف مفتحة الابواب للناس جميعا . ذلك بأن مجهوداتى كانت موجهة على الدوام الي انارة عقول الامة بالعلم والعرفان لا الى جعلها قطعانا من البهم باطعامهـم الجهل وتربيتهم على الخرافات . لو انني كنت أفكر فى مصلحة نفسي وفى البقاء على سلطتي كما يدعون لكنت طويت العلم ودفنته فى غيابة الجب ، ولكني لم أفعل ، ولا ينبغي لى ، بل وجهت عزمتي الي

نشر العلوم ولكن لم يقدر لشيبة فرنسا ان تنتفع بما أردته لهم فلقد كانت الجامعة التي أنشأتها لهم آية في النظام والتدبير كما أن نتائجها لم تكن لتقل عن ذلك جلالا » (نقلا عن كتاب أبوت)

« ما أعظم الناشئة التي تركتها من ورائي . كل ذلك من عملي . وسيكون فضل هذه الناشئة كفيلا ان يثأر لي . مهارة العامل تبدو فيما يعمل وتنصفه عند الحكم فأما فساد حكم المرجفين وسوء نيتهم فسيزهق وتبدو أعمالي للمبصرين . لو لم أفكر الا في نفسي وفي حفظ سلطتي وقوتي كما يزعمون لكنت طويت العلم ولكني لم أفعل ولا ينبغي لي . بل وجهت عزمتي الى نشر العلوم ولكن لم يقدر لشبيبة فرانسا ان تنتفع بما أردته لهم فلقد كانت الجامعة التي أنشأتها آية في النظام والتدبير كما ان نتائجها لم تكن لتقل عن ذلك جلالا » (نقلا عن كتاب لا كاس)

دين انجلترا الاهلي

ان دين انجلترا دودة ترعاها بل هي سلسلة تلك الاغلال

التي ستعوقها في سيرها لانه لا يمكنها أن تقوم بهذا العمل الثقيل حتى تستمر أثناء انتضاضها من الحروب في تناول تلك الضرايب الفادحة التي تقررها أيام الحروب وسيقودها هذا بطبيعة الحال الى زيادة أثمان المأكولات ودفع الناس من غير وعي الى حالة من الشقاء مخيفة . عند ذلك يحدث أحد أمرين : اما ان تزداد أجور العمال بهذه النسبة ، وعلى ذلك لا تستطيع المصنوعات الانجليزية ان تنافس مصنوعات غيرها من الامم فى أسواق أوروبا ويتبعها خسارة أصحاب المعامل أنفسهم. وأما ان تبقى أجور العمال كما هي فلا يصاب أصحاب المعامل بضرر ولكن لا يقدر معها العمال علي تحصيل حاجات العيش الضرورية . ان أول عناصر سعادة الامة هو فى وجود توازن بين مقدار الضرايب المقررة لحفظ ميزانية الحكومة وبين زيادة أجور العمل ولكن الضرائب لسوء الحظ لا تثمر حتى تصل الى الجماهير ولكنها اذا كانت تؤثر فى حالتهم المعيشية جلبت على الناس الشقاء والمصايب لذلك يتحتم علي انجلترا ان تقاتل ذلك الوحش الضاري، دينها ، بكل الوسائط السلبية والايجابية

وبانقاص مصروفاتها وزيادة تجارتها مع العالم وفى حالة هـذا الانقاص يجب عليها ان لا تقتصد.ثم يجب عليها ان تعجل.ليتر اذا أنذرت الحال .بالفساد أما مسألة المرتبـات والمعاشـات ومصروفات جيشها البرى فيجب ان يعجل فيها بالاصلاح . ان عظمـة انجلترا السـياسية هي فى حربيتهاوليست فى تلك الجيوش البرية التي ترسـلها الى أوروبا بجوار تلك الجيوش الكبيرة جيوش الروسيا والنمسا وبروسيا

كماأنه يقتضى لها ان تعجل باصلاح تلكالمفاسدالعديدة التي تلم بأملاك اهل الدين فيها وبأصـلاح حالة الفلاحين فى علاقتهم مع أصحاب الارض وبأصلاح حالة ارلندا فى علاقتها بانجلترا ذاتها وبأصلاح المجاميع الذين يربون علي ثلث مجموع سكان انجلترا وتخفيف تلك الاثقال الملقاة على اعناقهم بسبب معتقدهم الديني ثم يمنح الناس جميعا تلك الحقوق والميزاتالتي منحتها للمنتخبين . ان الحالة الحاضرة ليست الا غشا وتمويها بجعل حق انتخاب أغلبية أعضاء البرلمـان في يد اللوردات

والعرش أما ارلندا فليس لها الاخيال النيابة فى البرلمان ولكن الحقيقة أنها معتبرة مستعمرة من المستعمرات . لقد كان خيراً لها ان تكون كذلك فانها كانت لا تتحمل نصيبا من دين انجلترا المتزايد المتصاعد ولكنها الآن تتحمله وهي صاغرة

ان فريق الارستوقراطية فى انجلترا هم السادة الذين لا معقب لكلماتهم فيها وهم اذا أذن فى البلاد بوجوب الاصلاح ورأوا فى هذا الاصلاح مسا لقوتهم وامتيازاتهم عمدوا الى تلك الصرخة التى اعتادوها فقالوا «أن أساس الدستور فى خطر — انك اذا لمست هذا الاساس تهدم كل البناء فاذا هو خراب، وضاعت على الناس حريتها » على أنه لا شك انه بالرغم مما فى هذا الدستور من النقائص القطيعة، لا تزال نتائجه، اذا أنت نظرت اليها وعرضتها فى نور مدنية هذا العالم، ذات نتائج بهجة عظيمة . وهي هى التى تجعل الناس بما نزلت عليهم من البركات، يخشون ان يصيبهم الضرر اذا هم ناهضوه ولكن ما أكثر هذه البركات وما أشد اغتباط الناس بها اذا أدخل على هذا الدستور من الاصلاح الرشيد ما يجمل حركة

ذلك الدولاب العظيم الجميل سهلا هينا »

غلطات نابليون

السياسيه

« لقد اقترفت ثلاث غلطات سياسية كبرى. فقد كان يجب علىّ ان أعقد صلحا مع انجلترا بترك اسبانيا ، وكان يجب ان أعيد مملكة بولاندا كما كانت ، وان لا اذهب الى موسكو ، وكان يجب ان أعقد صلحا فى درزدن ، اترك به هامبورج وبضع ممالك لم تكن ذات فائدة لى »

حرية التجارة وحمايتها

« لقد حرصت على ان لا أقع فى غلطات رجال النظامات من حيث ايثار نفسى وتفضيل آرائى على حكمة الامم . ان الحكمة الصادقة نتيجة التجارب فالاقتصادى الذى يقول بحرية التجارة يقدم لنا غنى انجلترا ورفاهيتها التجارية مثالا لذلك وقدوة يجب تقليدها ! ولكن انجلترا بلد الممنوعات واراها محقة فى بضع أمور لان حماية التجارة ضرورية لتشجيع الصناعة فى نشأتها . وفى هذه الحال لا يمكن الاستعاضة عنها بالجمارك فان

التهريب يفسد غرض القانون. ولكن الناس في المادة اذا عمدوا الى مثل هذه المسائل وهي ذات مساس برفاهية البلد بعدوا في حكمهم عن مواقع الصواب، على انه يمكن القرب من الحقيقة اذا اتخذنا اساسا لابحاثنا في هذا الموضوع هذا التفصيل الذي راعيته دائما في مسائل الزراعة والصناعة والتجارة — وهو تفصيل أغراض واضحة

أولاً — ان الزراعة روح رفاهية الامة وأساسها

ثانيا — ان الصناعة مال الشعب الحاضر ورفاهيته

ثالثا — ان التجارة الداخلية هي استعمال مواد الزراعة والتجارة استعمالا يعود بالفائدة

رابعا — التجارة الخارجية وهي استعمال الزائد من محصولات البلد والموفور من المملوك استعمالا مفيداً بحيث تكون أهمية هذا الزائد قليلة في نظر صاحبها »

فقدان الاهلية فى وظائف

الحكومة

« أن الوزير الذى لا يكون كفواً لوظيفته يؤذى بلده

باستخدام قوم في وزارته ممن لا ينظرون الا بعينه ولا يفكرون الا بعقله »

« اذا ذهب الرجل لينام فى وظيفته وجب ان يقال فان التبديل يغرى الناس بالعمل »

« لا يصح ان نسلم القيادة لرجال فوق الستين من العمر . أما ما يحسن ان يعطى لامثالهم فهي الوظائف ذات الشرف. على ان يكون العمل المطلوب في هذه الوظائف قليلا، واذا انصفنا ، لم يكن مطلوبا منها عمل على الاطلاق »

وقال من خطبة فى مجلس الشيوخ بعد حرب الروسيا سنة ١٨١٢

«ان جبناء العساكر، وضعاف النخوة من الجنود ، هم الذين يقضون على استقلال الامم، ولكن خائر العزم الضعيف من الموظفين يقضي على جلال القانون وحقوق العرش، ثم لا يقف ضرره عند ذلك بل يتعداه الى نظام المجتمع

انى لما توليت أمر فرانسا وأخذت على عاتقى تقويمها

دعوت الله ان يمدني بسنين طوال ، لاعتقادى انه اذا كان التخريب يتم في لحظة فالبنيان والتعمير لا يتمان الا فى زمان طويل »

« الا انه لا يعوز الحكومات أمر كموظفين ذوي شجاعة وصبر »

« كان أسلافنا يقولون « مات الملك فليحيى الملك » وفى هذه الكلمات دليل على ذلك المبدأ المتأصل فى نفوسهم ، مبدأ ان النظام الملكى مفيد . لقد درست أميال أمتى بما فعلت فى القرون الاخيرة وفكرت ملياً فيما فعلوا فى كثير من أحقاب التاريخ وسأفكر أيضاً فى الموضوع بعد ذلك »

« الرجال فى الدنيا كجماعة الموسيقى ، كل عازف منهم يتقن دوره ولا يعرف سواه . كان (ناي) يحسن القيادة اذا هو تولى قيادة عشرة آلاف جندى أما فيما عدا ذلك فما كان الا أحمق مأفوناً »

« ان فى فرانسا كثيراً من رجال العمل والدربة ، وانما ينبغى أن ننقب عنهم ونمهد لهم سبيل البلوغ الى المراتب التى

هم أهل لها . فرب رجل تراه خلف المحراث وهو جدير أن يتبوأ مجالس الوزراء، ورب وزير جلس يدبر الأمر، وهو حرى أن يجرى وراء المحراث »

« الكفاءة كيفما كانت، ومهما صغرت، يجب أن نبحث عنها وننزلها منزلها الجدير بها »

« يزعم نبلاء لوندرة وقينا أن من حقهم ان يولوا أكبر أعمال الحكومة، وأعظم مصالحها، ويقوموا بتدبير أموال الامة، كأنما نسبهم بديل مما ينقصهم من المقدرة والاستعداد، أو كأنما يكفى الانسان منهم أن يدعى الى أبيه ليعهد اليه بأخطر الشؤون وأجل الامور . الا انما مثلهم مثل أولئك الملوك الذين يزعمون أنهم انما يستمدون سلطانهم من سلطان صاحب العزة والجلالة، فما الرعية فى نظرهم الا البقرة الحلوب لا تراهم يبالون بما يصلحها أو تراهم ينظرون فى مرافقها مادامت خزائنهم مترعة وتيجانهم مرصعة »

« لا انكر أن مطامعى كانت كبيرة جداً ولكنها



كانت مطامع مستقرة على أميال الرأي العام. وكنت لا أفتأ أذكر ان الملك لا يقوم الا بالامة. لذلك كانت الامبراطورية التى أنشأتها فى حقيقتها جمهورية عظيمة . ولقد دعانى صوت الشعب الى ارتقاء العرش فكان دأبى تقديم الكفاءة بغير نظر الى فوارق الانساب. وما كانت تبغضني حكومات أوروبا التى تقبض على مقاليدها فئة الاشراف الا لهذا السبب . ومع هذا فان الرجل فى انجلترا قد ترفعه مواهبه وأعماله الى أعلى المراتب. فلعلكم قد أدركتم ما قصدت»

« الرأي العام قوة خفية غير مرئية يستحيل أن تقاوم. وليس هناك ما هو أكثر منه التواء وأشد منه ابهاما وأقوى بطشاً وأسرع تقلباً. على أنه أعدل وأصوب مما يراه الكثيرون

لما عينت قنصلا، كان أول مابدأت به انني نفيت خمسين فوضياً كان الرأى العام شديد الحنق عليهم، والبغض لهم، فسرعان ما عطف عليهم، ومال اليهم، فاضطررت الى الرجوع فى أمري. وما هي الا بردة اظهر فيها أولئك الفوضيون نزوعهم الى تدبير المؤامرات حتى انقلب ذلك الرأى العام الذى

كان بالامس معهم، الى جانبي، وكذلك كان من جرّاء اغلاط ذالك العهد أن نرى الرأى العام منصرفا الي جماعة من السفاحين كان يضطهدهم جمهور الناس قبل ذلك بقليل»

« المعقل الذى تمتنع فيه حرية الامم انما هو الرأى العام»

« الرأى العام على أهبة التسفل من أجل مصالحه فى كل وقت»

«يجب أن يكون الانسان قد مارس الذي مارسته، وقام بمثل ما قمت به من الاعمال، حتى يتسنى له ان يدرك الصعوبات التي تعترض العامل في سبيل فعل الخير. فربما انتهى العمل على غاية السرعة والاتقان اذا كان المقصود منه اقامة مدخنة أو حاجز أو تجديد اثاث فى قصر من القصور الامبراطورية لفائدة بعض الافراد. فأما اذا كان المقصود منه توسيع حديقة التويلارى أو تحسين بعض الاحياء أو تنظيف مجرى من المجارى أو نفع الجمهور، الى مثل ذلك من الاعمال التي لا تعود بالفائدة الخاصة على شخص معروف، فقد وجدت

الامر يحتاج الى استخدام كل وسائل، واستعمال كل قواى، فكنت ربما كتبت ستة أو عشرة خطابات يومياً لانجاز مثل هذا العمل، والترغيب فيه ومن ذلك انى انفقت حوالى ثلاثين مليونا من الفرنكات فى أعمال المجارى، وما كان لأحد ان يشكرنى على القيام بهذا العمل لانه مما لا ينتظر فيه شكر الافراد، وانفقت مثلها عوضاً عن منازل هدمتها كانت قائمة في وجه سراى التويلارى لانشاء الكاروسيل واخلاء طريق اللوفر. لقد أنجزت اعمالا كثيرة ولكن ما كنت أفكر فيه كان أعظم »

القالات

أتى جامع الكتاب على جملة مطولة من خطاب أرسله نابليون الى ناظر الداخلية فى نوفمبر سنة ١٨٠٧ يوصيه بعمل ثلاث ترع كبيرة احداها تمتد من دجون الى باريس وثانيتها من نهر الراين الى نهر ساؤون وثالثتها من نهر الراين الى نهر شلدت. وقد جاء فيما اقتطف الجامع قول نابليون

« انى جعلت عظمة حكمى فى تغيير وجه أمبراطوريتى

فالقيام بحفر هـذه الترع العظيمة هو فى مصلحة أمتى كما أنه يرضيني. واعلم انني أرى من المجد ابطال الشحاذة والتسول فى بلادي. لذلك اريد القضاء عليهما قضاء مبرما. ليس يعوزنا المال للقيام بذلك ولـكنى أرى السير الى تحقيق هذه الامنية بطيئاً رخواً، فى حين ان الزمان مجد في سـيره لا يعبأ بنا . الا انه لا ينبغى لنا أن نقطع مراحل هذه الدنيا من غـير أن نترك فيها أثراً يشرف ذكرانا لدى أعقابنا

انى غائب عنك شهراً فاذا جاء الخامس عشر من ديسمبر فتأهب للجواب على كل ما نسألك عنه يومئذ، فان بين يديك من الوقت متسعاً يكفي لتحص تفاصيل هذه الامور، ليتسنى لي يومئذ أن أقضى على الشحاذة فى كلمة واحـدة أسطرها فى ارادة من لدنا

عليك أن تجد من الاموال الاحتياطية قبـل الخامس عشر من ديسمبر المذكور مقداراً من المـال يكفي للانفاق على ستين أو مائة منزل يدفن فيها التسول كما يجب أن تعين الاماكن التى ستقام فيها هذه المنزل، وتحضر قانونها، واياك

أن تسألني امهالك ثلاثة أشهر أو أربعة حتى تستطيع جمع ما أريد من المعلومات فان بين يديك من الشبان العارفين بالامور الحسابية والمديرين القادرين والمهندسين الاذكياء خلقاً كثيراً فاجعل أولئك يعملون لانجاز هذا المشروع . ولا تم تكتف بما يجرى فى نظارتك من الاعمال المادية

واعلم أنه يجب أن تنفذ كل الاعمال الخاصة بادارة الاشغال حتى اذا ابتدأ الفصل اللطيف (لعله الربيع) ظهرت فرانسا فى ذلك المنظر البهج بين العالمين ، خالية من ظلمة الشحاذة على أرضها ، سعيدة بأهلها ، اذ ينبرون الى تجميلها واستثمار ضياعها الواسعة . . . .

يجب عليك أيضاً أن تجهز لى مشروعاً يمكن به أن نحصل من تصريف مياه كوتنتين وروتشنورت ، على مال نستطيع به أن نقوم بأعمال المنافع العمومية ولاتمام مشروع المصارف التى نحن مشتغلون بها الآن ولحفر أخرى نريد اختطاطها

ان ليالى الشتاء طويلة فاملأ حقيبتك ، حتى نستطيع فى

ليالى ثلاثة شهور أن نبحث الوسائل التي تؤدى بنا الى الوصول الى نتائج يرتاح لها البال »

« كان كل همي ان تكون بارس عاصمة أوروبا الحقيقية فلقد طالما وددت لو أصبحت مدينة فيها مليون أو ثلاثه أو أربعة ملايين من النفوس — مدينة عظيمة لا يحد عظمتها الفكر كأنها من مدن الخرافات، لا يماثلها شيء — بحيث يكون فيها من المبانى العامة والمنائيء القوميـة ما يليق بأهلها فلو ان الله قد مد في حكمي عشرين سنة ووهبنى قليلا من التفرغ لجعلت باريس آية من الآيات في جدتها حتى لم يبق للقدم فيها أثر منظور . لو أمدني الله بذلك لغيرت ما كان مقدوراً لفرنسا

كان ارخميدس الرياضي يقول انه قدير على ان يحمل الدنيا لو وجد مكانا يضع فيه عتلته، وانا اليوم أقول انني كنت أفعل مثله لو انني وجدت موردا يتمد عليه جدى ودأبي وقوتى واستمد منه المال . أجل فقد تستطيع خلق العالم بالمال! هنالك كنت أستطيع ان أبين للناس الفرق بين امبراطور دستورى وبين ملك لفرنسا . فما كان ملوك فرنسا الا سادة

كبارا آذوا رجال العمل فى بلادهم اذا درت ببصرك تلتمس ادارة أو هيئة مجلسية بلدية أو غير بلدية فانك لا تجد شيئا »

التعصب الدينى

« ان التعصب الدينى آلة قوية كفيلة بالنجاح لمن ادارها في شعب غير متمدين ... انا اذا عمدنا فى فرانسا الى هذه الحيلة وما فيها من شعوذة ضحك الناس منا وسخروا ولكنها اذا استعملت في روسيا جرت وراءها سفاحين قتلة »

الثورة

« الثورات كلوقائع تجري فى ظلمات الليل . كل قد غشيه الارتباك حتى ترى الجار يعدو على الجار والصديق مأخوذا فى عدو . فاذا جاء الصباح وعادت السكينة والنظام عفا بعضهم عن بعض وغفر له ذنبه »

« قد انتهينا من قصة الثورة فلنبتدئ بتاريخها . يجب اليوم ان يكون تطلع أعيننا وقفا على ما هو حقيقى فعلى

من المبادئ التى يراد العمل عليها ، لا الى ما كان منها خياليا أو موهوما »

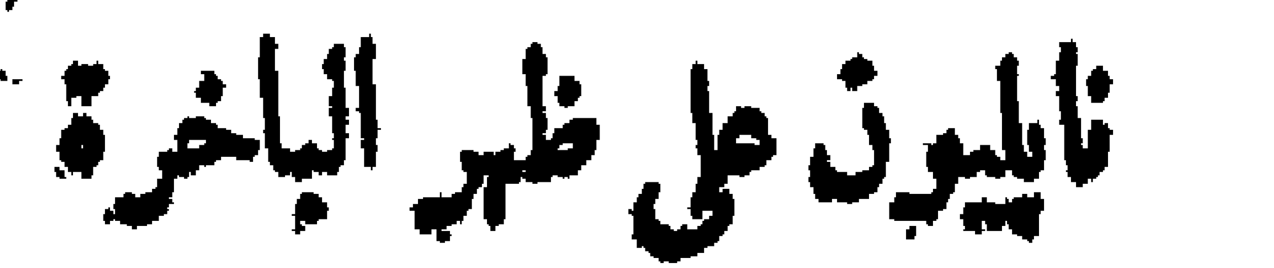
واجب الملك

«يجب ان يحكم الملك رعيته جليلا شريفا في حكمه لا أن يجعل همه مسرتهم . ان خير ما يكسب قلوب الرعية ضمانة رفاهيتهم. وليس من شيء اخطر على الحاكم من مداهنة قومه والتملق اليهم، فانهم اذا لم يحصلوا بعد ذلك على كل ما يريدون تأففوا وزعموا أنهم انما وعدوا كذبا. فاذا قوموا فى ذلك ازدادت كراهيتهم له، على قدر ما تصور لهم أوهامهم من انه قد خالف عهده معهم . لا شك ان أول واجبات الملك العمل وفاق ما تشتهى الأمة ولكن يندر ان يكون ما تقوله الامة معبرا عن حقيقة رغباتها. فان رغباتها وحاجاتها لا يمكن تبينها من أفواهها كما يمكن قراءتها مسطورة على صدر أميرها»

السعادة الاجتماعية

« ليست السعادة الاجتماعية الصحيحة الا فى النظام اذا

شمل. وتوافق مسرات الافراد وامتزاجها . لقد وهبت الملايين كل عام للفقراء وضحيت ما ضحيت في سبيل معاونة الصناعة وتعزيزها ولكن فرنسا بالرغم من كل ذلك قد كثر فيها المتسولون عنهم في سنة ١٧٨٧ وسببه الثورات. فانها بالرغم مما تكون مؤسسة عليه من النظام والتدبر، تخرب في لحظة ولا تستطيع البناء الا في زمن طويل . ما كانت الثورة الفرنسية الا تشنجا وطنيا لا يمكن دفعه الا اذا أمكن دفع بركان فيزوف عن التفجر فانه اذا حدث ذلك الاختلاط الخفي في أحشاء الارض وتهيأت أسباب الانفجار اندفع الحمم من فوهته ذائبا نحو السماء وتناثر الاصلد من الحجر في الاجواء. وكذلك أمر الامة فان ما تنطوي عليه جنوبها من الاستياء أشبه بذلك، يتبع سيره فاذا بلغت آلامهم دور النضج تفجرت الحفيظة من قلوبهم، وآذنت في البلاد بالثورات »



نابليون على ظهر الباخرة

الالقاب

« يؤخذ الناس باللعب . كلمة. لا أقولها لكل الناس بل لجمع من الراشدين والسياسيين.لا أظن ان الامة الفرنسية تعشق الحرية والمساواة . كلاّ فما غيرت الثورة من نفوسهم في عشر سنين شيئاً . بل هم الآن على ما كان عليه اسلافهم الغالبون من العتو والطيش . أما الاحساس فليس لهم منه الا احترام الشرف — وهو أمر يجب علينا ان ننميه في قلوبهم ولا سبيل الى ذلك الا باحداث درجات وعلائم غير هذه الدرجات »

« الضرائب والحرية المدنية »

« الحرية المدنية الحقيقية تتوقف على سلامة الملك. ولست أظنها تكون فى بلد من عادته تغيير مقدار الضريبة كل عام . فالرجل الذى دخله ثلاثة آلاف من الفرنكات فى العام لا يدري اذا لم الضريبة تكن مقررة ثابتة أى مقدار من هذا المبلغ باق له للانفاق منه على بيته ونفسه. فقد يجوز ان تذهب الضريبة به كله »

« يكلف السفراء أمتهم مصروفات جمة وهم لا يفعلون الا قليلا. الا أنه خير للملك ان يدبر أمر نفسه بذاته »

« ان الموسيقى أرق الفنون فان لهـا في النفس أقوى أثر . لذلك يجب على الشارع ان يجعل لها من نفسه نصيبا كبيراً فيدعو لها ويحمل الناس عليها »

ان الاغنية التي أحسن صوغها تهذب الفؤاد وتملك القلب وتؤثر فى الانسان أثرا دونه الحكمة فهي تملك اللب ولكنها لا تحيي الشعور ولا تغير من طباعنا حالا »

الفصل السابع

الدين

« الدين ملك الروح . هو أمل الحياة وبر السلامة ومنجى الانسان من الشرور . انظر الى المسيحية فكم خدمت الانسانية وعندى انها مطوية على قوى عظيمة كفيلة ان تخدم بها العالم أكثر لو أن حماتها يفقهون مهمتهم »

« المسيحية دين الشعب المتمدين لأنها روحية جداً .
فالثواب الذى وعد به عيسي المسيح من دان بها هو رؤية الله
وجها لوجه ... والغرض الذى ترمي اليه المسيحية بتعاليمها انما
هو غلبة النفس وقهر الهوى »

« انمبدأ الغفران ، غفران الذنوب ، مبدأ جميل ، يجعل
المسيحية دينا يجتذب اليه القلوب ، دينا لا يفنى . انه لا يستطيع
أحد والمسيحية أمامه ان يقول « انى لا أومن ، ولن أومن »

« يجهد الفلاسفة أنفسهم من غير جدوي فى البحث عن
مبدأ خير من ذلك الذي وفق بين الانسان ونفسه ، وضمن
للناس السلام والنظام ، وهم مجموع ، ووثق لهم بالسعادة
وبلوغ المنى وهم افراد »

« المقدور مسطور ، ولكل امرئ ساعة . لا يستقدم
عنها ولا يستأخر »

« لا بد للانسان من طاعة القدر »

« الا انما ساعتنا الاخيرة مسطورة في السماء »

الاحتفالات الدينية

« ان أشد ما يبغض اليّ اعادة الدين الكاثوليكى فى البلاد تلك الاحتفالات الكثيرة التى كانوا يقيمونها ، أن يوم المولد الذى يقام من أجل أحد القديسين انما هو يوم تراخ عن العمل وتهاون ولست أحب مثل هذا اليوم لامة يجب عليها ان تجد وتسعي لتحصيل العيش . انى أوافق علي منح أربعة أيام في السنة جميعها تقام فيها مثل هذه الاحتفالات . فاذالم يوافق ذلك هوى حضرات الذين أتونا من رومة فليتفضلوا بالرحيل من فرانسا »

« لا أعتقد باشكال الدين بل بوجود الله فقط »

« اذا ركب الانسان مركب الحياة سأل نفسه أسئلة ثلاثة، أولها من أين أتيت ؟ وثانيها من أنا؟ وثالثها الى أين أذهب ؟ »

أسئلة في غاية الخفاء تدعوه الى الدين فيسرع الى اعتناقه ، ذلك بأن طبيعتنا تستحثنا الى ذلك»

« انا نعتقد فى وجود الله، لان كل شئ حولنا انما يدل عليه . وقد آمن به كبار العقول من الرجال (بوسويه) و (نيوتون) و (ليبنتز) وغيرهم »

لا بد لنا من الايمان بل لا شك في انا نؤمن كثيراً بأمور من غير تحكيم العقل فيها . فاذا بدأنا نحكم العقل فى أمر من أمور العقيدة تزعزعت هذه العقيدة ولكننا نهتف فى قلوبنا يومئذ باننا ربما آمنا مرة أخرى فى المستقبل مستسلمين وندعو الله ان يلهمنا هذا الايمان . لاننا نرى في ذلك سعادة لنا وعزاء اذا نزلت المصيبة أو عركتنا التجاريب بل نراها سلوة لنا وردعا للنفوس اذا مالت مع الهوى »

« لا يشك الرجل ذو الفضيلة في وجود الله فانه اذا لم يستطع فؤاده ان يتفهم ذاك دعته الغريزة الى الايمان . ذلك بان كل مشاعر الروح انما تتوجه الى الدين »

« لايستطيع كل امريء ان ينكر الله »

« ان ديني سهل جداً . أنظر الي هذا العالم الواسع المختلط البهي ، فاقول لنفسي يستحيل ان يكون هذا الكون نتيجة المصادفة ، بل هو عمل كائن خفي قادر على كل شيء ، كبير عن الكون بقدر كبر هذا الكون عن أدق آلة من صنع الانسان . هذه حجتي وهي حجة الفلاسفة جميعاً ، لا يستطيع أحد دحضها ، ولكنها في عين الانسان صغيرة الجرم لا تكفيه ، لانه انما يريد أن يكشف من أسرار وجوده ومستقبله مالا يكشفه له هذا الوجود . بيد أن الدين كفيل ان يقفه على ما يشعر الانسان انه فى حاجة الى معرفته »

« وقال فى خطاب الى البطريق كوموفى سنة ١٦٩٧ »

« اياك أن تلقى على هوى النفوس زيتا يزيد اشتعالها ، بل ماء يطفيء نارها . وليكن سعيك الى تبغيض الناس فى القساوسة الكاذبين الذين شوهوا الدين وجعلوه آلة لمطامع الملوك وأولى البأس من العالمين . ان مبدأ الانجيل ، نشر المساواة

لذلك فهو عون الحكومة الجمهورية التي تؤسسونها فى بلادكم»

«ان للآراء الدينية على النفوس سلطة أكثر مما يرى كثير من أولئك الفلاسفة صغار العقول . وهى قادرة على أن تؤدى للانسانية خدمة لا تطاولها خدمة . اننا اذا سرنا مع البابا فى وفاق استطعنا أن نبسط سلطتنا على ضمائر مئة مليون من الرجال»

« بالامس كنت أسير وحدى فى الغابات غريقا فى وحدة الطبيعة وسكونها. هنالك سمعت صوت ناقوس يدق، فتحركت فى نفسى عواطف جمة، بلا اختيار منى . ذلك بأن للآثار الاولى وتداعى هذه الآثار في النفس، سلطة قوية لا يمحوها الزمان . فقلت لنفسى هذا شعورى فليت شعرى كيف يكون شعور سوقة الناس . الا فليجبني الفلاسفة على ذلك اذا استطاعوا اليه سبيلا . ألا ان الدين ضرورى للناس »

« الدين ضرورى جداً فى مدارس البنات. فانه ضمانة الامهات والازواج . ألا انه يجب علينا ان ننشىء مؤمنات

لا مفكرات . ان ضعف ذهن المرأة وقلة الثبات في رأيها ووظيفتها في المجتمع وحاجتها الى الخضوع الدائم والاحسان أمور لا تتم لها الا بالدين »

« ان الذي يدعونى الى الظن ان لا آله فى هذا العالم، يقضى بالعقاب والثواب، أنى أرى خير الناس فى شقاء وأوغادهم فى سعادة واقبال »

« لله وحده الحكم فيما لا يستطيع الناس الحكم فيه »

« اذا لم يستطع الانسان أن يعاهد الله عاهد الشيطان »

« انى أنا حكيم من الحكماء أعرف انه لا يسمي الرجل عادلا فاضلا فى أى مجتمع ما لم يعرف من أين أتى ولا الى أين يذهب . مجرد العقل لا يهديك الى الحق في ذلك . فاذا حاولت الوصول اليه، وليس فى قلبك من الدين نور سرت فى حلكة وظلام . والدين الكاثوليكى وحده كفيل أن يمد الباحث بما يرضيه عن أولاه وآخرته »

« ما دينك هذا ! وما تدعيه من حب الله والبشر ؟ لا تذكر لي ديناً ينقلني من هـذا العالم دون أن يقول لى من أين أتيت ولا الى أين أذهب »

« اعلم يا دوروك أن لنا عالماً آخر سنجتمع فيه »

« تخضع القوة للعقل فى كل مكان. أنظر الى السنكيات فانها تخضع للقس اذ يتكلم باسم السماء ، وللرجـل الذى يبذ غيره علماً وفضلا »

« كيف تقوم الفضيلة ؟ — الا انه لا سبيل الى ذلك الا بنشر الدين . . . . ولا بقاء للمجتمع الا بفقدان التساوى. وفقدان هذا التساوى لا يدوم الا بالدين. اذا رأيت أحداً من الناس يموت من الجوع ، وأخاه بجانبه فى فضل من العيش ونعيم، لم تستطع أن تحمل الاول على الرضا بهـذه الفروق ما لم تقل له (قضت مشيئة الله أن يكون فى العالم غنى وفقير) ولـكن ليس فى الآخرة مثل ذلك . بل الناس يومئذ سواء »

« كل ما له علاقة بالعبادة يجب ان يكون بلا أجرة. فان دفع شيء لدى الابواب أو اكتراء كراسيّ في الكنائس أمر تشمئز منه النفوس. انه لا يصح ان يحرم الفقير لفقره مما هو عزاء له وسلوة »

« اني معتقد ان فى فرانسا فريقا كان يعتنق البروتستانتية اذا انا ملت الى هذا الدين . ولكنى أعتقد أيضا ان أغلب الفرنسيين كانوا يظلون كاثوليكيين وكانوا يعارضون فى انقسام اخوانهم عنهم أشد المعارضة. ولكني عمدت لارضاء كل فرد فيها باعادة الدين الذى كان دين الاغلبية. وبمنح الاقلية حرية التعبد »

« جدير بولدى ان ينشأ رجلا ذا أراء جديدة وان يكون فتى المبدأ الذى مهدت له سبيله فى كل مكان . جدير به ان ينشىء مامن شأنه أن يقضى على قانون الاقطاعات القديم . ويرعى كرامة الانسان وينمى بذور السعادة التى بقيت فى الارض سنين طوالا . جدير به ان ينشر فى الاقطار غير المتمدينة ،وفى البلدان المتبربرة ،فضائل دين المسيحية والمدنية »

«لا بقاء لمذهب التوفيق بين الدين والمنطق أمام الايمان»

«للمرء من ضميره حمى لحريته»

«يزعم القساوسة أن هذه الدنيا مركبة ينتقلون بها الى سواها»

«لم يكن عقلاء اليونان يعتبرون دين الوثنية السائد في تلك البلاد دينا حقا. فلم يعبأ بها سقراط ولا فيثاغورس ولا أفلاطون ولا بريقل ولا غيره. ولكن أرقى العقول آمنوا بالمسيحية ايمانا قلبيا حيا. ذلك بما انطوى عليه الانجيل من الاسرار والمبادئ العظيمة»

الفصل الثامن

الحرب

«حنكة الحرب فى أن يغنم المحارب وقتا، اذا آنس من نفسه الضعف»

وقال هو في بوريدينو سنة ١٨١٢

ما الحرب ! ان هي الا تجارة المتبربرين »

« الحرب كالحكومة لا تساس الا بالحصافة والرشد »

« الرأى العام ، والفضيلة، نصف الفوز فى المعارك »

« فى الحرب تشعر بضيقاتك ولكنك لا تبصر ضيقة عدوك »

وقال يخاطب وزير باقاريا سنة ١٨١١

« مهلة ثلاث سنين أخرى تجعلنى سيد الكون »

« لا تليق الرعاية والتبجيل الا بالفاتح المنتصر . أما المغلوب فلا يليق له الا التحفظ والكبرياء »

وقال في سنه ١٨١٤

« أخذ كل امرئ يسأم الحرب . فلقد غاض معين الحماسة . وانطفأت تلك النار المقدسة »

« يجب على القائد ان يعامل جنوده كما يود لو كان من الجنود »

« الحرب دين الجندى »

« أهم صفات القائد الثبات . والثبات عطية الله »

السلب

« لاشئ أقدر على الاخلال بالنظام وأسرع الى هزيمة الجندمن السلب »

وداع نابليون جنده سنة ١٨١٤

« ياجنود حربى . استودعكم الله لقد صحبتكم عشرين سنة فى سبيل المجد والسؤدد . ولقد كنتم في هذه الايام أيام الشدة كما كنتم فيما قبلها . أيام الرخاء ، مثالا للشجاعة والامانة . ما كان ليضيع علينا أملنا بجنود على ما أنتم عليه من البسالة ، بل لتدوم الحرب حتى لانهاية لها . تدوم حتى تنقلب الى حرب داخلية . ولكن في مثلها دمار فرنسا . لقد كانت

سعادتها كل مأمولي وستبقى كذلك فى نفوسكم. فلا تحزنوا لما قدرلى ، فانى اذا كنت قد رضيت ان أعيش فانما لاخدم مجدكم. لقد عولت على ان أسطر التاريخ، تاريخ تلك العظائم التى فعلناها معا

الوداع ياإخوانى! انى لا تمنى أن أعانق كلا منكم على حدة واضمه الى قلبي . ولكن لا سبيل الى ذلك وساعانقكم جميعا فى شخص قائدكم هذا . الوداع أيها الجند كونوا على الدوام رجالا وأخياراً

« الوداع أيها الاخوان . ان قلبي على الدوام معكم فلا تنسونى »

« ما الجندى الا آلة لطاعة الامر »

« لا تبرر القسوة حتى تدعو اليها الضرورة »

« كل ما هو نافع فى الحرب حلال »

فظائع الحرب

« ان منظر الموقعة بعد انقضائها كفيل ان يوحى الى

الملوك حب السلام ومقت الحروب . هنالك تجد الارض قد أغرقتها الدماء والناس فيها بين قتيل مطروح وجندى مجروح. مشهد لعمرى يدمى الفؤاد »

« لا يستطيع تصور فظيعة الحرب من لم يشهد الحرب »

« لا يعرض انسان نفسه للموت من أجل دراهم معدودة ينقدها ، أوحبا فى ميزة كاذبة . اذا أردت ان تجمع حولك رجالا تخاطب أرواحهم يأتوك سراعا »

وقال بعد واقعة أوسترليتز

« ليس للانسان من عمره مايقضيه في الحرب الازمن قصير . ان أمامي بعد اليوم ست سنوات أخرى . ثم لا بد لى بعدها ان يقف جهدى »

« ان الهرم ليدب في الانسان على عجل فى ميدان القتال»

حملة واترلو

« هنالك لم أ كن أشعر بتلك الثقة التامة التي كانت تملأ

قلبي فيما مضى من هماماتي فسواء كنت قد جزت تلك البرهة من العمر التي عاليء الحظ فيها صاحبها أو انى كنت أرى باعث ماهممت به ضئيلا فى عيني، قليلا فى رأيي ، فانى كنت أحس فى قلبي بكدورة. انقلب الحظ الذى كان يغمرني بسعده فاذا هو رب قاس ، اذا أنا ظفرت منه بنتف من الاقبال ، تطلب فيها عوضا كبيراً. لم أكد أحصل على النعمة حتى ابتلى بنقمة»

وقال

« اه — لو أمكن ان. تعيدها مرة أخرة »

الفصل التاسع

متفرقات

الطمع

« عظم المطامع خلة عظيم السجية ، من ملكته كان أهلا لان يأتى بالعظائم، خيرها وشرها ، تبعا للمبادىء التى انطوى عليها صاحبها . انني لم أشعر بقدرتى على ان أكون عاملا من



ابن نابليون — أو — ملك روما

أفعل عوامل السياسة الا بعد ان عبرت قنطرة لودى واجتزت تلك المفازة الرهيبة . يومئذ طارت شرارة مطامعي العظيمة والتهب بها صدرى »

سلطة الظروف

« اذا نحن انتظرنا الظروف حتى تأتى بخير الاوقات لم يمكننا ان نشرع فى عمل من الاعمال . لا نهاية بلا مبدأ . ولست أعرف ان مشروعا بدئ فيه فكانت كل الظروف تماثله لان للمصادفة أثراً كبيرا فى أعمال الانسان. وأتباعه القواعد لا يضمن النجاح،ولكن النجاح يرسم لصاحبه سنة ومنهجاً » .

الشجاعة

« لم أر من الشجاعة الادبية ذلك الصنف الذى اسميه شجاعة الساعة الثانية بعد نصف الليل . أى اننى لم أر رجلا عنده من الشجاعة الحاضرة مالابد منها لدفع الغوائل اذا هى أتت غير منذرة ولا منتظرة ، شجاعة تحفظ لصاحبها حصافة

الرأى ورشد الحكم، بالرغم من كل نازلة مدلهمة وكارثة مداهمة»

« ان في الصبر على ضياع الملك واهانة الرصفاء الشجاعة كلها »

« قد تحمى الشجاعة منزل العرش ولكنها لا تمحو العار »

الجبناء

« لايهين الجبناء الا سوء الحظ » (١)

الاخلاص

« لا يمكن مكافأة الاخلاص بالمال »

« لا ينبغي للرجل ان يخلف وعده. انى لأكره الخائنين »

الروايات التمثيلية

« المأساة تشمل الروح، وترفع الوجدان . بل هي تخلق من الناس أبطالا . لذلك أرى ان فرانسا مدينة لكورني بجزء من أعمالها العظيمة ولو أنه عاش فى أيامى لجعلته أميراً

---

(١) لعله يشير الى اهانة حراسه له في سنت هيلانة . فيقول انهم لا يهينون نابليون ولكنهم يهينون سوء حظه »

الحظ

« الحظ كالمرأة . كلما زادتنى خدمة زدتها مطالب »

المودة

« ما المودة الا اسم، انى لا أحب أحداً من الناس حتى اخوتى ، ولكن ربما أحببت يوسف قليلا ، على انى ان أكن أحبه فعن عادة نشأت عليها، ولانه أكبر منى سنا. ودوروك ! نعم أحب دوروك أيضا، ولكن لم هذا الحب ? ان خلقه يعجبنى فهو رصين ، وقور وثبت ، ولا أظن انه ذرف يوما قطرة من الدمع. أما أنا فالكل سواء فى نظرى، أعتقد من صميم قلبى انه لا صديق لى ، ولكنى مادمت حيا وجدت من ادعياء مودتى خلقا كثيراً

أحر بنا يا بوريان ان نترك مسائل العواطف ، والشعور للنساء . فهى من وظيفتهن. أما الرجال فجدير بهم ان يكونوا ثابتى القلب، ثابتى العزيمة ، والا فلا شأن لهم فى الحروب ولا الحكومات »

الذكاء

« انما يعمل الذكاء بالوحى، فما يكون خيراً فى حين من الاحيان قد يكون شراً فى حين آخر، ولكن يجدر ان ينظر الانسان الى المبدأ، فانه كالمحور من القوس، له منه نسبة محفوظة »

وقال فى خطاب الى مدام بروى ينبئها فيه بفقد زوجها في واقعة النيل. تاريخه ١٩ أغسطس سنة ١٧٩٨

« ما أرهب الساعة التى نحرم فيها ممن نحب، أنها لتجعلنا فى عزلة عن العالم، وانها لتنزل بالجسمان شدائد الموت ونوازله، وتستلب من الروح طبائعها، حتى لا تدوم علاقتها بالعالم المنظور، الا كما يكون الحلم، يقلب المناظر، ويلوي المخابر. تبدو الخلائق فى العيون أشد أثرة وابرد قلبا مما هم. حتى لو خير الانسان بين الحياة والموت لا ستحب الموت. ولكنه اذا ألمت به هذه الفكرة. ودنت منه أولاده فعانقهم وضمهم الى صدره، هطلت دموعه وتحركت فى نفسه عواطف الحنو عليهم، فحييت فى نفسه طبائعه وآثر الحياة على الموت لانه يومئذ يحيا لاولاده

أجل ياسيدتى . انظرى اليوم اليهم وقد فتحوا عليك باب الاحزان . فأنت تبكين وهم يبكون ، وستذكرين لهم والدهم وتبثين لهم شجوك ، لفقد من فقدت ، ومن خسرته الجمهورية ، ثم ستنظرين اليهم ترجين الحياة من أجلهم. ويا أيتها السيدة ، اذا علقت من أجلهم تمسك بالحياة طوعا لعواطف الام وحنوها على الولد ، فاذكرى ان لك من الناس من تعتمدين على صداقته ورعايته . مودة صديق ورعايته لزوجة صديق كان عزيزاً لديه . واعلمى ياسيدتى ان فى الناس من هو جدير ان يكون أمل المحزونين ، لانه يدرك مقدار الشدة التى تلم بهم »

التاريخ

« لا يصح ان يكون التاريخ ابهاما وتغريراً . بل يجدر ان يكون نوراً لقارئه وهدى . ولا يصح ان يكون جهده وصف الحوادث وذكر القصص وصفا يراد به مجرد التأثير فينا . ان تاسيتوس لم يدرس أسرار الامور درسا يؤهله لمعرفة حقائقها ، ولم يتمعن فى مجارى الآراء ، ويبحث عن العلاقات التى

تربطها بعضها ببعض ، حتى اذا ألقيت الى الناس استقر رأيهم على ماهو حقيق ، وكان حكمهم يومئذ خاليا من نزعات التحيز يجب ان يكون التاريخ بحيث اذا وصف رجال عهد من العهود أو أمة من الامم ، وصفهم على ماهم عليه فى تلك العهود وبين الوسط الذى عاشوا فيه . لذلك يجدر بالمؤرخ ان يعني بالمسائل الخارجية ، والظروف العارضة التي تكون قد أثرت فيهم وفى أعمالهم ويبحث عن مقدار هذا التأثير ومقدار مافعل

لم يكن البراطرة الرومانيون من الفساد على ما وصفهم تاسيتوس ، لذلك أراني مضطرا الي تفضيل مونتسكيو عليه لعدله فى حكمه ، وقربه من الحق فى انتقاده »

« ليقرأ ولدى التاريخ ، وعن النظر فيه . فان فى ذلك الفلسفة الحقيقية . ليقرأ عن حروب عظماء القادة ، ويفكر فيها . فان فى ذلك السبيل الوحيدة التي تمكن الانسان من درس علوم القتال . ولكن لا عبرة بكل ماتقول له ولا قيمه لكل ما يدرسه ، مالم يكن فى قلبه ذلك النور المقدس ، نور حب الحق والخير ، الذى يهديه الى جلائل الاعمال ، يقوم بها . على

اني أرجو ان يكون أهلا لما قدر له »

«انسانية نابليون»

قال نابليون الى مورتيه الذى وكل بملاحظة الجلاء عن موسكو فى ١٩ اكتوبر سنة ١٨١٢

« لي ن كل اهتمامك وعنايتك بالمريض والجريح. واجعل متاعك وفراشك لهم ، وخصص العربات لمنفعتهم ، واذا لم تكفهم هذه العربات ، فأنزل لهم عن سروج مطاياك..... اجمع القواد والضباط حولك وأيقظهم الى ضرورة البر فى هذه الظروف ، لقد كان الرومان يمنحون كل من احتفظ بحياة اخوانهم تاجا وطنيا ، دليلا على اعترافهم له بالفضل »

« الجنون »

« الجنون تجريد للانسان من الطبيعة البشرية. أما انا فلست أخشى الجنون ، لان لى رأسا من الحديد. أما اليأس فأمر آخر ، لى فيه رأى ثابت . قد يجئ يوم تسمع فيه يا كولانكور انني يئست من الحياة ، ولكن لن ترانى يوما من الايام فاقد صوابى»

« المصيبة »

جاء فى مقالة كتبها نابليون فى موضوع الحقائق والآراء التى يجب أن تقرر فى الذهن ليسعد الجنس البشرى، وأرسلها الى مجمع ليون العلمى سنة ١٧٩١

«ان سبب المصايب التى تنزل بالانسان، وأصل الكوارث التى تحيق به انما مرجعه سوء التصور ، واختلال نظام الفكر . فهو يدفعنا من بحر الى بحر ، ومن خيال الى خيال ، حتى اذا هدأ الفكر ، ومرت ساعة الفرصة ، دقت ساعة الانسان ، فغادر الحياة ، وقد سئم الحياة »

« ان الزمن الذى قضيته فى مصر كان أبهى أوقات حياتى وأجملها : ذلك بأنى قضيته سبحا فى عالم الخيال »

« ان الرجل الذى يحتمل مصايب الحياة ، ونوازل الايام ، أشجع من ذلك الذى يقدم على قتل نفسه فيموت .

لا يقضى على حياته الامقامر أفلس ، أو مشرف أعدم . وهو في ذلك انما يدل على فقد الشجاعة »

« قتل النفس من أعمال الجبن »

« في كل ساعة من الوقت سبيل الى مصيبة تحيق بالمستقبل »

« تأتى المصايب بالخير كما تأتى بالشر . فهى تعلمنا الحقيقة : ينزل الرأى الثابت منزل المغلوط فيه ، وتقلب النتائج ، فاذا هى مقدمات لخيالات وأوهام ، وأضغاث أحلام »

« اليوم وقد خلص رأسى من عبء التاج ، أستطيع ان أفكر كما يفكر الفلاسفة . وأهل الحكمة . أفكر في الايام التي كانت أغلاطى فيها بارادة الله . انى لا درك ما للمصادفات والحظوظ ، من الاثر فيما يقدر للانسان . وفي تلك الحوادث التى يتوقف عليها مستقبل الامم والممالك »

« لا تخلو المصايب من دلائل المجد والبطولة . لقد

كان دأبي ينقصه سوء الحظ »

الثبات

« لا تبلغ الغايات الا بالعزم وحصافة الرأى »

التحامل والكبرياء

« لا يصغي صاحب التحامل والكبرياء الي صوت العقل ولا الى الطبيعة ولا الى الدين. فلا يذعن استبداد الاشراف الا للقوة والبطش »

سلطة المطابع

« ان الذى تخبره اليد من المسطورات لا يؤثر فى عقول الجمهور كما يؤثر المطبوع . كأنما الطباعة خاتم السلطة »

السمعة

«ما السمعة العظيمة الا غوغاء عظيمة . كلما زادت . زاد انتشارها . تفنى الامم والآثار . والمناشئ والقوانين ولا تفنى الغوغاء بل تظل تتجاوب أجزاؤها ، وتتنادى اصداؤها بين الاخلاف والاعقاب . أن قوتى مستمدة من مجدى. ومجدى مستمد من النصر الذى حزته »

ضد الرق

«ماهذه الآلة الانسانية الضئيلة. الا أنما الناس مختلفون .
هل رأينا انسانا يماثل فى ظاهره ظاهر غيره . أو يشابه فى
تركيب باطنه باطن غيره ؟ لقد نسينا ذلك ، حتى استبحنا
اقتراف « كثير من الاغلاط والمخاطئ . لو أن توبى [١] كان
فى أديم بروتوس [٢] لقتل نفسه . ولو كان فى أديم عيسوب
[٣] فربما كان اليوم مستشار الحاكم . ولو كان مسيحيا يغلو
فى دينه لرسف فى قيوده راضيا ولحمد هذه القيود . أما وهو
كما هو ، فانه يحتمل مصايبه ساكنا هادئا . ينكب على
عمله مجدافيه ويقضي يومه في هدوء لا أثر الا للبراءة فيه »
« لاشك ان بين توبى والملك رتشارد بونا كبيرا فى المقام

(١) توبى اسم عبد كان يشتغل فى بستان منزل نابليون فى
سنت هيلانة

(٢) بروتوس اسم أحد رفقاء يوليو القيصر وكان مشهورا بالفضل
والحجى والاباء

(٣) عيسوب اليونانى صاحب الخرافات الحكمية المعروفة

ولكن الجريمة فى فظاعتها واحدة . فان لهذا المسكين زوجة وبنين وأهلا واقربين حرم منهم وحرموا منه . وسعادة قد تطمت عنه . وحرية قد سلبت منه . انى لأرى احضاره الى هذه الجزيرة ، يرسف فى قيود عبوديته ، عملا من أعمال القسوة العظيمة »

تعريف العرش

« ما العرش ؟ أربعة قطع من الخشب مغطاة بالمخمل »

السياحة

« للمرء من السياحة مكسب عظيم »

آخر جمله

«ما أحلى الراحة ! لقد أصبح الفراش عندى منزلا للنعيم . ما أشد تهدجى . لقد كان نشاطي غير محدود ، وكان فؤادى لا يغفي . كم مرة أمليت على أربعة أو خمسة من الكتاب كانوا من السرعة فى الكتابة على سرعة نطقى بالقول . ولكن كان كل ذلك يوم كنت نابليون . أما الآن فلست شيئاً .



نابليون ميتا وكفه على وسام اللچيون دونور الذى أنشأه

لقد اعتراني الخمول حتى لا أستطيع أن أشرع جفني عند النظر.
وخانتي قواي، فما أنا اليوم من الاحياء بل أنا موجود فقط»

انتهى تعريب المنتخب من كلمات نابليون. ولست أظنني قاسيت في تعريب شيء ماقاسيت في تعريب هذه الكلمات. فقد اضطررت ان أتقيد باللفظ كما جاء. وارتبط بالسياق. كما اتسق، احتفاظا بخفايا المعاني التي تضويها الالفاظ على صورتها التي جاءت فيها. وقد خاطرت بما يخاطر به المعرب انصافا لنابليون، وارضاء لنفسي، فاما اذا وجد القارىء فيها نزولا عن بليغ العبارة التي اعتادها في كثير من المعربات، فحسبي في ذلك انني أعرب كلمات وحكما يلتزم فيها المعرب مالا يلتزم في سواها من نقل المعاني كما هي ولن يدرك صعوبة هذا المنحى الا من عاني التعريب زمانا طويلا من لغة الى لغة تخالفها شمالا ويمينا المعرب

* * *

وهنا آتي على عنوانات الكتب التي استمدت منها كلمات نابليون:

« حياة نابليون بونابارت » و « رسائل بونابارت »
كلاهما تأليف چوسيف أبوت
« ذكرى نابليون بونابارت » تأليف بوريان
« تذكارات » : تأليف كولانكورت دوق ڤيسنزا
« رسائل نابليون لچوزفين » جمع هول
« نابليون الحقيقي » تأليف چوسلين »
« تذكارات سنت هيلانة » تأليف كونت دولاكاس »
« محادثات نابليون مع الچنرال بارون جورجورد في
سنت هيلانة » تأليف اليصابات ورملي لانيمار
« يوميات سنت هيلانة . من سنة ١٨١٦ الى ١٨١٧ »
تأليف ليدى مالكولم
« نابليون في منزله » تأليف فريديريك ماسون »
« حياة نابليون الخاصة » تأليف ارثر ليفي
« تاريخ أسرة نابليون » تأليف الكونت مونثلون
« تذكارات » تأليف شانسلور باسكيه
« نابليون . أخر منظر » تأليف برايمروز »

« نابليون الاول » تأليف روز

« حياة نالميون بوناپارت » تأليف سلون »

« حياة نابليون بوناپارت تأليف ايداتاربل »

« أم نابليون » تأليف تشودى كلار »

« ١٨١٢ ، أو ناپليون فى الروسيا » تأليف ڤاسيلى فيريستشاجين »

« ناپليون » تأليف توماس واطسون

« نابليون الصغير » تأليف الفيلد مارشال الفيكونت ولسلى

